المُستَشرِقُ النَّرويجيّ هارِيس بيركيلانْد

أُسطورة شَقّ صَدر النَّبيّ محمَّد

ترجمة نَديم الكوّاز





* عنوان الكتاب: أسطورةُ شقِّ صدرالنبي محمَّد
* التأليف: هاريس بيركلاند
* الترجمة: نديم الكوَّاز
* الطبعة الأولى للورّاق 2024
* تصميم الغلاف: دار الورّاق

ISBN: 9789933583668

التوزيع - Distribution

شركة الوراق للنشر المحدودة

Al-Warrak Publishing Ltd
26 Eastfields Road
London W3 0AD - UK
Tel 00442081490409

لشراء منشورات الوراق عن طريق الانترنيت

شبكة الأمازون العالمية www.Amazon.co.uk
شبكة الفرات www.alfurat.com
شبكة النيل والفرات www.neelwafurat.com

يمكنكم شراء نسخة إلكترونية للكتاب ـ E-Book وEpub

المتابعة

warraklondon@hotmail.com
warrak123@gmail.com
info@warrakbooks.com

التواصل

: facebook.com/warrakbooks
: Instagram: warrakbooks

هاريس بيركلاند

أسطورةُ
شقِّ صدر النبي محمَّد

ترجمة

نديم الكوَّاز



العنوان الأصلي

The Legend of the Opening of Muhammad's Breast

By

Harris Birkeland

Translated by

Nadeem Al-Kawaz

First edition in Arabic
by Al Warrak Publishing Ltd 2024

المحتويات

الفهارس العامة

منهجية النشر
في شركة الوراق للنشر المحدودة

دأبت إدارة شركة الوراق للنشر منذ بدايتها على نشر وتقديم مجموعة كبيرة من البحوث والدراسات في الجوانب الاجتماعية والفكرية والتاريخية المختلفة للقارئ العربي، ومساهمة منها في ترسيخ الجانب العلمي والمعرفي بين المجتمعات العربية. وما زالت الورّاق مستمرة على الالتزام بهذا المنهج العلمي في النشر، وابتعدت كل البُعد عن نشر كل ما يسيء أو يطعن بمعتقدات الناس وخصوصياتهم، ولا سيما المواضيع الحساسة والدقيقة والمتعلقة بالمذاهب والأديان.

الشروط والمبادئ في نشر الكتب والأبحاث:

1. أن يكون المؤلّف باحثاً علمياً.
2. أن يكون البحث مستوفياً الشروط العلمية للموضوعية والدقة.
3. أن يكون البحث إضافة جديدة للمكتبة العربية.
4. أن لا يكون البحث ذا صبغة أيديولوجية أو دينية أو تبشيرية.

آليّة نشر الترجمات:

1. تحرص الدار على الترجمة الأمينة والدقيقة للبحوث والدراسات، وتحرص كذلك على استعمال المفردات اللغوية المناسبة للموضوع لكي تنقل روحية البحث إلى القارئ العربي.
2. تقوم الدار بالتحقق من جميع المقتبسات العربية من مصادرها في الكتب المترجمة.
3. تعمل الدار على مراجعة الترجمات وتدقيقها لغرض المحافظة على الأمانة العلمية.

إن الدار غير منحازة أو متحاملة على أي جهة أو طائفة أو معتقد وبأي شكل من الأشكال، كما أن إدارة شركة الوراق تحترم جميع المعتقدات والمذاهب والأديان بغضّ النظر عن توجّه هذا المعتقد أو الدين أو المذهب، ملتزمة كلياً بشريعة حقوق الإنسان الصادرة عن الأمم المتحدة.

عن المؤلف

بقلم ماجد شُبّر

هاريس بيركيلاند:

من مواليد 1904/7/30م ولد في قرية Vikebygd ـ النرويج، توفي في 1961/9/1م في أوسلو.

كان عالماً لاهوتياً وعالماً في علم اللغة النرويجية. عُيّن أستاذاً للغات السامية في جامعة أوسلو عام 1948م. قدّم بيركيلاند المنهج البنيوي في دراسة اللغات السامية ونشر العديد من أعمال التاريخ اللغوي والديني.

كان بيركيلاند مع كل من العالِم سفيري آلين والعالِم إيفار بي سييرستاد الوحيد الذي حصل على شهادة الدكتوراه المعتمدة في دراسة العهد القديم من قبل العالِم سيغموند موينكل، الذي كان مدرّساً في جامعة بيركلاندس في الجامعة وأستاذ هارس بيركلاند. يعتبر العالم هاريس بيركيلاند أيضاً هو الوريث الحقيقي الوحيد للعالم سيغموند موينكل.

في عام 1983م، قام العالم روني بيركيلاند Rune Birkeland بمهمة وهي دراسة وتقييم أبحاثه الرئيسية.

الملك وعدوّه ـ وهي عبارة عن ترنيمة إنتاج وتقييم لأبحاث هاريس بيركيلاند.

قائمة من بحوث وكتابات العالم هاريس بيركيلاند:

1. أساس الجملة العبرية ـ صدر عام 1932م.
2. عمودا وحمص في المزامير ـ صدر عام 1933م.
3. إعداد الفرد في أدب المزامير الإسرائيلية ـ صدر عام 1933م.
4. اللكنة والصوت في العبرية القديمة ـ صدر عام 1938م.
5. ذكريات عن البروفسور ألكسندر سيبل ـ Professor Alexander Seippel ـ صدر عام 1938م.
6. التقليد العبري ـ صدر عام 1938م.
7. أشكال الترويق الطربية ـ صدر عام 1940م.
8. كيف جاء الكتاب المقدس إلى العالم ـ صدر عام 1941م.
9. رسول الله ـ صدر عام 1942م.
10. زرادشت «زاراتوسترا»، نبي إيران ـ صدر عام 1943م.
11. لغة ودين اليهود والعرب ـ صدر عام 1949م.
12. آرميا، النبي والشاعر ـ صدر عام 1950م.
13. مختارات من القرآن الكريم ـ صدر عام 1952م.
14. مشكلة فلسطين وخلفيتها التاريخية ـ صدر عام 1952م.
15. نمو وهيكل اللهجة المصرية ـ صدر عام 1952م.
16. تاريخ العصور الوسطى بمصادر عربية ـ صدر عام 1954م.

17. **أهمية أنماط الخطوط باللّغة العربية ـ صدر 1954م.**

18. **لغة يسوع ـ** صدر عام 1954م.

19. **الأشرار في سفر المزامير ـ** صدر عام 1955م.

20. **أساطير وتاريخ في المزمور (المزامير) ـ** صدر عام 1955م.

21. **بعض الانعكاسات على اللغات السامية والهيكلية ـ** صدر عام 1956م.

22. **الرّب Guideth** يهوا ـ جوثا: دراسات في الإسلام البدائي ـ صدر عن لجنة بتكليف من H. Aschehoug & Co، ـ أوسلو 1956م.

23. **تفسير مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري لسورة الماعون** «107» ـ صدر عام 1958م.

24. **كتاب في القواعد العبرية ـ** صدرت طبعات منه في السنوات 1950، 1967، 1975، 1984م.

25. **مختارات من القرآن الكريم ـ**صدر عام 1989م.

26. **القرآن ـ** صدر عام 1999م.

27. **معارضة المسلمين الأوائل لتفسير القرآن ـ** صدر عن دار الورّاق ـ 2019م.

ملخص البحث[1]

يهدفُ هذا البحثُ إلى تحليلِ أصولِ رواياتِ أسطورةِ شقِّ صدر (النبي) مُحمَّد المُتعدِّدةِ، وتحديدِ تاريخها ما أمكنَ، وقد جاءت في كتبِ السيرةِ والحديث والتفسير، منذُ زمنِ ابن إسحاق (تُوفِّيَ سنة 151هـ/767م) إلى يومِنا هذا، إذ أرجعَ ابنُ إسحاق تاريخَ أسطورةِ شقِّ الصدر إلى فترةِ رضاعِ مُحمَّد، وقدَّمَ لها روايتينِ، أولى الروايتين وأقدمُهما في «سيرةِ ابن هشام» التي حقَّقَها هاينريش فرديناند فوستنفيلد في الصفحةِ 105، وهي: «عندَما كان مُحمَّدٌ مع أخيهِ بالرضاعةِ، معَ بعضِ الغنمِ خلفَ خيامهم، فجاءَ أخوه أهلَه قائلاً بانفعالٍ: إنَّ رجلينِ في ثيابٍ بيض قد أخذا أخاه، ووضَعاه على جنْبِهِ، وشقَّا بطنَه ثمَّ حرَّكاها. وعندما خرجَ والداه ليريا، وجَداه يقفُ بوجهٍ حائلِ اللون، وأخبَرهم أنَّ رجلينِ في ثيابٍ بيض وضَعاه على جنْبه، وفتحا بطنَه، وسعيا للحصولِ على شيءٍ فيه، ولم يكنْ يعرفُ ما هو».

والروايةُ الثانيةُ في الصفحةِ 106، مع اختلافاتٍ طفيفةٍ عن

(1) [نُشر في مجلة أورينس، العدد 1، 31 تموز 1957، المجلد 10: 186-188. المترجم].

الروايةِ الأولى، ونمطٍ مُختلفٍ أيضاً، فالأولى روت الأحداثَ في بيئةٍ رعويةٍ، بأسلوبٍ بسيط، أمَّا الثانيةُ، فاختلفت مقدِّمتُها، حيثُ قال (النبي) مُحمَّدٌ: «أنا دعوةُ أبي إبراهيم، وبشرى (أخي) عيسى، ورأت أمِّي، حينَ حملَت بي، أنَّه خرجَ منها نورٌ، أضاءَ لها قصورَ الشام، واسترُضِعتُ في بني سعدِ بن بكر، فبينا أنا مع أخٍ لي خلفَ بيوتِنا، نرعى بُهُماً لنا، إذ أتاني رجلانِ عليهما ثيابٌ بيضٌ بطستٍ من ذهبٍ، مملوءةٍ ثلجاً، ثمَّ أخذاني فشقَّا بطني، واستخرجا قلبي فشقَّاه، فاستخرجا منه عَلَقةً سوداءَ فطرَحاها، ثمَّ غسلا قلبي وبطني بذلك الثلجِ حتَّى أنقياه»، ثمَّ قصَّةُ وزنِ النَّبي على قومِهِ، والإضافةُ واضحةٌ في مقدِّمتِها، إذ أدَّت إلى أنَّ تكونَ فكرةُ الروايةِ هي شقُّ صدر مُحمَّد، وتطهيرُ قلبه، وأنَّ العلَقَةَ السوداءَ تدلُّ على رجسٍ كامنٍ فيه؛ كونَه فرداً في جماعةٍ وثنيَّة.

أرجعت المصادرُ، بعد ابنِ إسحاق، تاريخَ أسطورةِ شقِّ الصدر إلى سنٍ مُتأخرةٍ من حياةِ (النبي) مُحمَّد، أي قبل بعثتِهِ بمدَّةٍ، أو قبلها مباشرةً، أو أثناءها، أو مقدمةً لمعراجِهِ إلى السماء، في حين ذكَرَت روايةُ ابنِ إسحاق الأولى، وهي أقدمُ مصدرٍ لدينا، أنَّ شقَّ صدر (النبي) مُحمَّد كان في طفولتِهِ فقط، فمشكلةُ تاريخِ المصادر، ثمَّ تاريخُ روايةِ بعضِها عن بعضٍ صعبةٌ معقَّدة، ولا بدَّ من التحقيقِ الدقيق في عددٍ كبيرٍ من متونِ الأحاديث، وفي أحوالِ رواتها، وهو ما حاولتُ القيامَ به، آملاً الوصولَ إلى بعضِ النجاحِ فيه.

أثبت البحثُ في متونِ الأحاديث، وفي إسنادِها أنَّ أسطورةَ شقِّ الصدر كانت تُعدُّ، في وقتٍ مُبكِّر قرابة عامِ مائةٍ للهجرة، مُمهِّدةً

للبعثةِ عند بعضِ أوساطِ المُحدِّثين، حيثُ ظهرت مرتبطةً بالبعثة، أي مع نـزولِ الوحي وبـدء القرآن بآياتِ سورة العَلَق الخمسِ الأولى في غارِ حِراء، عند أهل السُّنَّة والجماعة، وهي التي كانت وراء تطوُّر الأسطورة في تلك الأحاديث وقد جاءَ أحمدُ بن حنبل بما يوافق رأيَ أُولئك المحدثين، حيثُ ذكَرَ أسطورةَ صدر (النبي) مُحمَّد من قِبلِ طائرين، مُتأثِّرةً برأي أهلِ السُّنَّة والجماعة في البعثة، وفي أحاديثَ أخرى عند أهلِ السُّنَّة والجماعة ظهرَ شكلُ الأسطورة تمهيداً للبعثة، ولكن بمُقدِّمةٍ وضعت شقَّ الصدر قبلَ مـدَّةٍ من البعثةِ، فلا تُحدِّد روايـات الأحاديث الإسلامية كلها، أسطورةَ شقِّ صدر مُحمَّد باعتبارها تمهيداً لبعثته[1].

ورَدَت أسطورةُ شقِّ الصدر تمهيداً للمعراج في كتبِ الحديثِ الصحيحة، وواجَه جامعوها، في أثناءِ جمعها، بعضَ الصعوباتِ في ربطِها بأسطورةِ المعراج؛ لأنَّها انكشفت عن كونِها أسطورةَ بعثةٍ كما في نمطِها القديم، ولأنَّ المعراجَ كان بعد البعثةِ عند أهل السنة والجماعة، وحاولتُ أنْ أشرحَ هذه الصعوباتِ التي كانت مُشكلةً مُبهمةً؛ نظراً إلى أنَّ كتبَ الحديث الصحيح وضعت أسطورةَ البعثة في مرحلةِ الطفولةِ أيضاً.

أنشَأ ترابطُ أسطورةِ شقِّ الصدر مع آيةِ سورةِ الانشراح الأولى التي بمقتضاها «شَرح» الله، أو «وسَّع» صدر مُحمَّد، استخدامَ صيغِ الأفعالِ المبنية للمجهولِ النادرَ (شُرِح عن صدري وما إلى ذلك)،

(1) [هناك أحاديثُ أُخرى تُحدِّد أسطورةَ شقِّ صدر مُحمَّد باعتبارها «علاماتِ نبوةٍ»، أو «تمهيداً للمعراج»، كما سيأتي. المترجم].

وهي لم تظهرْ من قبلُ في كتبِ الحديث الصحيح؛ لأنَّ الله نفسَه لم يَقُم بالنزول إلى الأرضِ، والمشيَ وفتحَ صدرِ النَّبيِّ، أمَّا في سورةِ الانشراح، فكان الله نفسُه هو الذي «شَرح»، أو «وسَّع» صدرَ النَّبيِّ، لذا لا يُمكن أنَّ تكونَ الأسطورةُ قد نشأت على أساسِ آيةِ سورة الانشراح الأولى، والمثيرُ للاهتمامِ أنَّ ترابطَ أسطورةِ شقِّ الصدر مُستحدَثٌ، ربَّما لم يظهرْ قبلَ سنةِ مائتينِ للهجرة.

وفي الختامِ يمكنُ تلخيصُ هدفِ بحثي:

لم يعترفْ أهلُ السُّنَّة والجماعة بأسطورةِ شقِّ الصدر للبعثةِ، ورفضوها بتزمُّتٍ؛ نظراً إلى أنَّ لديهم أسطورةً أخرى، تتعلَّقُ بالبعثةِ، لكنها كانت عند غيرهم للبعثةِ، تتبعها في الغالبِ أسطورةُ المعراج، وهذا الرأيُ كان راسخاً بقوَّةٍ لدرجةِ أنَّ أهل السنَّة والجماعة تبنُّوه في أشكالٍ مُعادِ تفسيرُها، مثلِ: ذكرِ الأسطورة في وقتٍ ما، أو قبلَ البعثة بمدَّةٍ وجيزة أولاً، أو ذكرِها جنباً إلى جنبٍ مع أسطورةِ البعثةِ المُجمعِ عليها من قِبَلهم ثانياً، أو سردِها تمهيداً للمعراج ثالثاً، ومن ثَمَّ، فالرأيُ القائلُ: إنَّ دمجَ أسطورة شقِّ الصدر بأسطورةِ المعراج عند أهلِ السُّنَّة والجماعة أصليٌّ. هو ليس كذلك، فالأسطورةُ في سنِّ الطفولة هي الأقدمُ لديهم، لذا كان على جامعي الأحاديثِ اللاحقينَ أنَّ يكيِّفوا كلَّ ذلك، ويفترضوا عدَّةَ شقوقٍ لصدرِ (النبي) مُحمَّد، ثلاثةً على الأقلِّ، لكنْ ظهرت أربعةٌ أو خمسة.

من الراجح أنَّ حديثَ أحمد بن حنبل عكَسَ الحقيقةَ التاريخية: اصطُفِيَ مُحمَّد نبيّاً بطريقةٍ مُماثلةٍ لأميَّة بن أبي الصلت، عندما شقَّ

طائرانِ صدرَه، وبدأ بهذه الطريقةِ نبوُّتَه، لكنَّ المُحدِّثين الذين احتفظوا بأسطورةِ اصطفاءِ مُحمَّد كما تطوَّرت في أواخر القرن الأوَّل للهجرة عند أهل السُّنة والجماعة، لم يعترفوا بالأسطورةِ في شكلِها الواردِ في هذا الحديثِ أبداً[1]، باستثناءِ بعضِ مُحدِّثي أهلِ السُّنَّة والجماعة الأقلِّ تزمُّتاً، وهو الشكلُ الذي دُمِج عند أهلِ السُّنة والجماعة فيما بعد، مع تغييراتٍ طفيفة.

قد تكونُ نتائجي خاطئةً، لكنَّ بحثي يهدفُ إلى إظهارِ كيف يتعيَّن علينا تحليلُ الرواياتِ الإسلامية، إن أردنا مقارنتَها بالواقعِ التاريخي الذي تكشفه، ليس نصوصَها فقط، بل إسنادُها كذلك، إذ لا بدَّ من بحثِهِ بدقَّةٍ مع تاريخِهِ قدرَ الإمكان، وأسمحُ لنفسي بذكرِ الدراسةِ الممتازة لجوزيف شاخت: **أصول الفقه المُحمَّدي**، نموذجاً لهذا البحثِ الدقيق، حيثُ بيَّنَ شاخت أنَّ الدراساتِ المقارنةَ للإسناد تمكِّننا من الوصولِ إلى أشكالٍ، أصليةٍ نسبياً لنصوصِ تلك الروايات، من خلالِ ميدان الفقه، ولا تُولي ملاحظاتُ يوهان فك النقديةُ على دراسةِ شاخت[2]، اهتماماً كبيراً بحقيقةِ أنَّ تلك الرواياتِ تُعبِّر مبدئياً عن مجتمعٍ دينيٍّ، منذ أوَّلِ راوٍ لها، فلدراسةِ الإسنادِ النقدية إذن الأهميةُ القصوى.

(1) [أي كونها أسطورة بعثة. المترجم].
(2) مجلة المكتبة الشرقية، المُجلد العاشر، العدد الخامس، 1953، الصفحات 196-199.

المُقدّمة

في التراثِ الإسلامي روايةٌ، مفادهُا أنَّ صدرَ النَّبي مُحمَّد شُقَّ من قِبل ملَكٍ أو ملَكينِ أو ثلاثة، واستخرجوا قلبُه، وعملوا فيه شيئاً، ثمَّ أرجعوه إلى مكانهِ، وأعادوا الجسدَ كما كان، حصلت هذه الحادثةُ في فتراتٍ مُختلفةٍ من حياة النَّبي وفقاً للحديث والسُّنَّة: في طفولتهِ، وقبلَ سنواتٍ من بعثته نبيّاً، وفي وقتِ بعثته، وأخيراً في التمهيدِ لـ (الإسراء ليلاً إلى القدس)، ومعراجِه إلى السماء، وكانت موضعَ اهتمامٍ كثيرٍ من العلماء، ولا سيَّما من حيثُ ارتباطها بالمعراج، وتشابهها مع ما كان في دياناتٍ أخرى، من أُوجهٍ متعدِّدة، وقد أجمعت آراءُ الباحثين، في العصر الحديث، على أنَّ ارتباطَ أسطورةِ شقِّ الصدر بالمعراج كان في أقدمِ رواياتها، وقد حاولَ باحثانِ في وقتٍ واحد تقريباً، وبشكلٍ مُستقلٍّ، هما برترام شريكه[1] وأنتوني آشلي بيفان[2]، إثباتَ أنَّ أُسطورةَ

(1) شريكه، معراج مُحمَّد في مجلة الإسلام، 6، 1915، الصفحات 1-30. وانظر كذلك معجم المصطلحات الإسلامية، فقرة الإسراء.
[برترام شريكه (1890-1945)، مُستشرق وعالم أنثروبولوجيا اجتماعي وسياسي هولندي. المترجم].

(2) بيفان، معراج مُحمَّد إلى السماء في ملحق مجلة علوم العهد القديم، العدد السابع والعشرون، صفحة 51 وما يليها.

شقِّ الصدر (ومن ثمَّ شقُّ القلب) القديمةَ هي للتمهيدِ إلى معراجِ النَّبي مُحمَّد إلى السماء، واتَّبع جوزيف هورفتس[1] هذا الرأيَ، بينما بقيَ علماءُ آخـرون، مثلُ فرانتس بوهل وهانز هاينريش شيدر[2]، مُتشكِّكينَ، أو مُتردِّدين في قَبوله.

تتَّفقُ أبحاثُ شريكه وبيفان وهورفتس على نقطةٍ مركزيةٍ واحدة، هي أنَّ أسطورةَ تطهيرِ القلب التي هي خطوةٌ أوليَّة لمبعث النَّبي، كانت للتمهيدِ للمعراج.

وحججُهم الرئيسةُ هي:

1. هناك روايـاتٌ مُماثلةٌ من دياناتٍ، أو عقائدِ قديمةٍ أخرى، ذكرَها شريكه.

[أنتوني آشلي بيفان (1859-1934)، مُستشرق إنجليزي، عالم في اللغة العربية، وأستاذها في كامبريدج. **الأعلام**، 2: 24. **المستشرقون**، 2: 509-510. المترجم].

(1) هورفتس، معراج مُحمَّد في **مجلة الإسلام**، 9، 1918-1919، الصفحات 159-183. وانظر كذلك **معجم المصطلحات الإسلامية**، فقرة المعراج.
[جوزيف هورفتس (1874-1931) مُستشرق ألماني. عمل مُدرِّساً للغة العربية في الهند، وفي الجامعة العبرية في القدس. **موسوعة المستشرقين**، الصفحة 433. المترجم].

(2) بوهل وشيدر، **سيرة مُحمَّد**، الصفحة 116، هامش 21، الصفحة 190 و191، الهوامش 157-161.
[فرانتس بوهل (1850-1932)، مُستشرق دانماركي، ولد في كوبنهاغن، وأستاذ في اللغات الشرقية. **المستشرقون**، 2: 344-346. وهانز هاينريش شيدر (1896-1957) مُستشرق ألماني، وأستاذ اللغات السامية في جامعة كونيغسبرغ. **المستشرقون**، 2: 783-784. المترجم].

2. عُدَّت أسطورةُ تطهيرِ القلب مُقدمةً لأسطورةِ المعراج كما جاءَ في أقدمِ حديثٍ عند مُسلم[1].

ورأى هورفتس أنَّه لا يُمكنُ إرجاعُ أسطورةِ شقِّ الصدر الإسلامية إلى اختلاقِ (النبي) مُحمَّد لها؛ لأنَّها موجودة في أديان، يُعتقد أنها أثَّرت في الإسلام، بخلاف شريكه الذي رأى أنَّها من اختلاق (النبي) مُحمَّد مع أسطورة المعراج. ويبدو أنَّ رأيَ هورفتس مقبولٌ عموماً، أو مُستحسنٌ على الأقل، إذ تأسَّس على استخلاصاتٍ من رواياتٍ مُماثلة في أديانٍ أخرى، ودراساتٍ وأفكار عامَّة، لا على البحثِ الدقيق في الرواياتِ الإسلامية.

إلى جانبِ ذلك، لم تُبحثْ أسطورةُ شقِّ الصدر على حدةٍ، باعتبارها أسطورةً مُستقلةً، بل استُحضرَت معَ أسطورةٍ أهمّ منها، هي أسطورةُ المعراج، وكذلك لم يُبحث تطوُّرُ عقيدةِ عصمة النَّبي من الخطأ كما ينبغي، ولم تُفردْ أحاديثُها المُختلفة في حقلٍ دراسيٍّ خاصٍّ، ولم تخضعْ لتحليلٍ مقارنٍ دقيق، ولم تُؤرِّخ على أساسِ بياناتٍ واقعية، فتعيَّن علينا إذنْ بحثُ كلِّ الروايات ودراستُها؛ للحصولِ على فهمٍ واضح.

---

(1) [حدَّثني عبد الله بن هاشم العبدي. حدَّثنا بهز بن أسد. حدَّثنا سليمان بن المغيرة. حدَّثنا ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم. فشرح عن صدري. ثمَّ غسل بماء زمزم ثمَّ أنزلت». صحيح مُسلم، 1: 147. وهو الإمام مُسلم بن الحجاج بن مسلم (204-261هـ/820-875م)، من أئمة المحدثين، ولد بنيسابور وتُوفِّيَ فيها. الأعلام، 7: 221. المترجم].

الفصل الأول

أسطورةُ شقِّ الصدر
في مرحلةِ الطفولة

وردَت أسطورةُ شقِّ صدرِ النَّبي في السيرةِ النبوية لابنِ إسحاق (تُوفِّيَ سنةَ 151هـ/767م)[1]، كما رواها ابنُ هِشام (تُوفِّيَ سنةَ 218هـ/834م)[2]، في روايتينِ من رواياتِ طفولة النَّبي، وذلك حينما أُخرِج إلى الصحراء برفقةِ مرضعتِهِ حليمة من بني سعدِ بن بكر[3] إحداها في الصفحة 105، والأخرى في الصفحة 106 (في سيرةِ ابن هِشام تحقيق هاينريش فرديناند فوستنفيلد)[4].

الروايةُ الأولى

هي حديثُ جهْمِ بن أبي الجهْم، مولى الحارثِ بن حاطب

(1) [محمد بن إسحاق بن يسار (تُوفِّيَ سنة 151هـ/768م)، من أقدم مؤرخي العرب، ومن حفّاظ الحديث، من أهل المدينة، وسكن بغداد ومات فيها. الأعلام، 6: 28. المترجم].

(2) [عبد الملك بن هشام بن أيوب (تُوفِّيَ سنة 213هـ/828م)، مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة، وتُوفِّيَ بمصر. الأعلام، 4: 166. المترجم].

(3) [حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث (توفيت بعد سنة 8هـ/630م)، من أمهات النبي ﷺ في الرضاع، كانت زوجة الحارث بن عبد العزى السعدي من بادية الحديبية. الأعلام 2: 271. المترجم].

(4) [مُستشرق ألماني (1808-1899)، تخصص في اللغات الشرقية، وحقّق الكثير من الكتب الإسلامية. موسوعة المستشرقين، الصفحة 276. المترجم].

الجُمحي[1]، عن عبد الله بن جعفرِ بن أبي طالب[2]، أو عمَّن حدَّثه عنه، عن حليمةِ السعدية، مضمونُه: عندما كان مُحمَّد ذاتَ يوم، يرعى مع أخيه بالرضاعة، بعضَ الحِملانِ خلفَ خيامهم، جاءهم أخوه قائلاً بانفعالٍ: إنَّ رجلينِ في ثيابٍ بيض أخذا أخاه، ووضَعاه على جنْبِهِ، وشقَّا بطنَه ثمَّ حرَّكاها، وعندما خرجَ والداه لِيرياه، وجداهِ يقفُ بوجهٍ حائلِ اللون، وأخبرَهم أنَّ رجلينِ في ثيابٍ بيض وضَعاه على جنْبِهِ، وفتحا بطنَه، بحثاً عن شيءٍ فيه، لم يكن يعرفُ ما هو[3].

لا يُمكن أنَّ تدلَّ هذه الروايةُ على تطهيرِ القلب، حتَّى عندَ أكثرِ المُحدِّثين وضعاً، فالرجلانِ حرَّكا داخلَ البطن: «يسوطانه»[4]،

(1) عامل مكة سنة 66 للهجرة، انظر ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 2: 138. [الحارث بن حاطب بن الحارث القرشي الجمحي، مُحدِّث ولد بأرض الحبشة، استعمله ابن الزبير على مكة سنة «66». **تهذيب التهذيب**، 2: 138. المترجم].

(2) [عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (1-80هـ/622-700م) ولد بأرض الحبشة، ومات بالمدينة. **الأعلام**، 4: 76. المترجم].

(3) [قالت: فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدمنا (به) بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يسوطانه. قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدنا قائماً منتقعاً وجهه. قالت: فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بني، قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقا بطني، فالتمسا (فيه) شيئاً لا أدري ما هو. قالت: فرجعنا (به) إلى خبائنا». **سيرة ابن هشام**، 1: 164-165. المترجم].

(4) [يُقال: سطتُ اللَّبن أو الدَّم أو غيرهما أسوطه: إذا ضربت بعضه ببعض، واسم العود الذي يضرب به: السَّوط. **سيرة ابن هشام**، 1: 164، الهامش 8. المترجم].

وأرادا شيئاً فيه: «التمسا فيه شيئاً»، ومن الغريبِ أنَّ شريكه لم يُدرك هذه الحقيقةَ، وهو الذي حسِب حادثةَ شقِّ الصدر خطوةً أوليَّةً نحو الاصطفاء للنبوة، وليس تطهيراً للقلب تمهيداً لأمر، ذلك أنه أخذَ بروايةٍ في تاريخ الطبري، وردَ فيها شقُّ الصدر وتطهيرُ القلب، وعدَّها الأصل(1).

لا تتعلَّق الأسطورةُ في روايةِ ابن إسحاق الأولى بالاصطفاء للنُّبوة، حيثُ كان الرجلانِ يقلِّبان ويبحثان في البطن، ولم يُخرجا منه شيئاً، ناهيكَ عن تغييرِ شيء فيه، أو إبدالِهِ، ولم تُذكر فيها

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 1157-1158.
[حدَّثني أحمد بن مُحمَّد بن حبيب الطوسي، قال: حدَّثنا أبو داود الطيالسي، قال: أخبرنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي، قال: أخبرني عمر بن عروة بن الزبير، قال: سمعت عروة بن الزبير يحدِّث عن أبي ذر الغفاري، قال: قلت: يا رسول الله، كيف علمتَ أنك نبي أول ما علمت، حتَّى علمت ذلك واستيقنت؟. قال: يا أبا ذرٍّ، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة، فوقع أحدهما في الأرض، والآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟. قال: هو هو. قال: فزِنْه برجل، فوزنت برجل فرجحته، ثمَّ قال: زِنْه بعشرة، فوزنني بعشرة فرجحتهم، ثمَّ قال: زِنْه بمائة، فوزنني بمائة فرجحتهم، ثمَّ قال: زِنْه بألف، فوزنني بألف فرجحتهم، فجعلوا ينتثرون عليَّ من كفة الميزان، قال: فقال أحدهما للآخر: لو وزنته بأمته رجحها، ثمَّ قال أحدهما لصاحبه: شقَّ بطنه، فشقَّ بطني، ثمَّ قال أحدهما: أخرج قلبه - أو قال: شقَّ قلبه - فشقَّ قلبي، فأخرج منه مَغْمَزَ الشيطان وعلق الدم، فطرحها، ثمَّ قال أحدهما للآخر: اغسل بطنه غسل الإناء، واغسل قلبه غسل الإناء - أو اغسل قلبه غسل الملاءة - ثمَّ دعا بالسكينة، كأنها وجه هرَّة بيضاء فأدخلت قلبي، ثمَّ قال أحدهما لصاحبه: خطَّ بطنه، فخاطا بطني، وجعلا الخاتم بين كتفي، فما هو إلا أن وَلَيا عنِّي، فكأنما أعاينُ الأمر معاينة». تاريخ الطبري، 2: 305. المترجم].

كلمةُ «قلب»، أو «صدر»، بل كلمةُ «بطن» فقط، والروايةُ في ذاتها ليست طوراً لاحقاً من الأسطورة، ولا هي مميَّزة بسمةٍ فريدة، يمكن أنَّ تتطوَّر فيما بعدُ، وإن توافقت مع أفكارٍ لاحقة، فلا بدَّ من أنَّ نتوقَّعَ اقتباسُ شكلِها الخاصِّ، وتطوُّر سماتِها الفارقة.

إلا أنَّ الحالَ ليس كذلك، بل على العكس، إذ أُهملت هذه الروايةُ في التطوُّرِ اللاحق للأسطورة، ولم تتكرَّرْ في الرواياتِ اللاحقة التي تُبرِز تطهيرَ القلب[1]، ولم ينقلْها ابنُ سعد (تُوفِّيَ سنة 230هـ/845م)[2] في كتابه: «الطبقات الكبرى»، بل نقلَ عن ابنِ إسحاق الروايةَ الثانية[3]، عن أنسِ بنِ مالك، وهي في صحيحِ مسلم أيضاً[4]، ....

(1) جذر الفعل «ضجع»، الذي يظهر فقط في رواية ابن إسحاق الأولى، يظهر من جديد في حديث لاحق، ولكن بشكل متقطع فقط، انظر الصفحة 105.

(2) [محمد بن سعد بن منيع (168-230هـ/784-845م) مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث. ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتُوفِّيَ فيها. **الأعلام**، 6: 136-137. المترجم].

(3) طبقات ابن سعد 1: 96-97.
[أخبرنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا: أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ كان يلعب مع الصبيان فأتاه آت فأخذه فشق بطنه فاستخرج منه علقة فرمى بها وقال: هذه نصيب الشيطان منك. ثمَّ غسله في طست من ذهب من ماء زمزم ثمَّ لأمه. فأقبل الصبيان إلى ظئره: قتل محمد! قتل محمد! فاستقبلت رسول الله ﷺ وقد انتقع لونه. قال أنس: فلقد كنا نرى أثر المخيط في صدره. **الطبقات الكبرى**، 1:120. المترجم].

(4) [حدَّثنا شيبان بن فروخ، حدَّثنا حماد بن سلمة، حدَّثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان،

وتنصُّ على إزالةِ علَقَة الدَّم[1]: «نصيبِ الشيطان» من القلب[2].

ولم يعترِ الأسطورةَ، خلالَ مائة وخمسين عاماً، أدنى تغيير، ممَّا يدلُّ على أنَّ نقلَها كان حرفياً بحتاً، وقد ذكَرَ الطبري (تُوفِّيَ سنة 310هـ/923م)[3] في كتابه: «تاريخ الأمم والملوك»، أو «تاريخ الرسل والملوك»[4]، روايةَ ابن إسحاق الأولى حرفياً، نقلاً عن ابنِ إسحاق نفسِه، من خلال ما لا يقلُّ عن أربعةِ أسانيد مُختلفة[5].

فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثمَّ غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثمَّ لأمه، ثمَّ أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إنَّ محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. صحيح مُسلم، 1: 147. المترجم].

(1) [قطعة من دمٍ غليظ جامد. القاموس المُحيط، ص 910. المترجم].

(2) انظر الصفحة 87.

(3) [محمد بن جرير الطبري (224-310هـ/839-923م)، الإمام المؤرخ المفسر، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتُوفِّيَ بها. الأعلام، 6: 69. المترجم].

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 972، الأسطر 12-18.
[... فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض، فأضجعاه وشقا بطنه وهما يسوطانه قالت: فخرجت أنا وأبوه نشتد، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه، قالت: فالتزمه والتزمه أبوه، وقلنا له: ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بياض، فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو. تاريخ الطبري، 2: 160. المترجم].

(5) [1.حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا سلمة، قال: حدَّثني ابن إسحاق، 2. وحدَّثنا هناد بن السري، قال: حدَّثنا يونس بن بكير، قال: حدَّثنا ابن

لا يساعدُنا التشابهُ في الخطوةِ الأوليَّة للاصطفاءِ للنبوَّة، أو الإعدادِ لها عند الأُمَم السابقة، على فَهْم هذه الروايةِ من الأسطورة، فهي أسطورةٌ عربيةٌ نشأت بين المسلَمينَ المؤمنين، ولا يمكنُ تفسيرُها إلا على هذا الأساس.

أشارَ ليونه كايتاني[1] إلى الوحي بالشعرِ عند شاعرٍ جاهليٍّ، اكتسبه من شقِّ صدره[2]، بعد أنَّ ذكرها إغناتس غولدتسيهر[3]، حيثُ ظهرَ الإلهامُ الشعريُّ عند أُميَّة بن أبي الصَّلت[4] بنزول جنّي بشكلِ غرفين[5] عليه، وهو نائمٌ، وشقَّ صدرَه وأغلقَه، وقد عرَضَ تور أندريه[6] ....

إسحاق، 3. وحدَّثني هارون بن إدريس الأصم، قال: حدَّثنا المحاربي، عن ابن إسحاق، 4. وحدَّثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدَّثني عمي مُحمَّد بن سعيد، قال: حدَّثنا مُحمَّد بن إسحاق: عن الجهم بن أبي الجهم مولى عبد الله بن جعفر، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. **تاريخ الطبري**، 2: 158. المترجم].

(1) [الأمير ليونه كايتاني (1869-1926)، من أهل روما، مولداً ووفاة، تعلم في جامعتها. وقام برحلات إلى الشرق، وكان يحسن سبع لغات. **الأعلام**، 5: 250. المترجم].

(2) كايتاني، **تاريخ الإسلام**، 1: 154-155.

(3) غولدتسيهر، **دراسات في فقه اللغة العربية**، 1: 3، 213.

[إغناتس غولدتسيهر (1850-1921) مُستشرق مجري، تعلم في بودابست وتُوفِّيَ فيها، وكان أستاذاً في جامعتها. **الأعلام**، 1: 84. المترجم].

(4) [أمية بن عبد الله أبي الصَّلت (تُوفِّيَ سنة 5هـ/626م) شاعر جاهلي حكيم، كان مطَّلعاً على الكتب القديمة، أقام بالطائف ومات بها. **الأعلام**، 2: 23. المترجم].

(5) [حيوان أسطوري له جسم أسد ورأس وجناحا عقاب. المترجم].

(6) تور أندريه، **شخص مُحمَّد في تعاليم ومُعتقدات مُجتمعه**، الصفحة 53.

وجوزيف هورفتس[1] نُصوصَ أشعارِ أُميَّة بن أبي الصَّلت المختلفة، فظهَرَ منها أنَّ هنالك طائرينِ، أحدهما يُخرجُ قلبَ أُميَّة، والآخرُ يُحلِّق في السَماءِ مُستفسراً من زميلِهِ الطائرِ عمَّا يوجدُ فيه، فمن الواضحِ أنَّ الطائرَ الأوَّلَ يرى شيئاً فيه[2]، فهي بعبارة أُخرى،

[تور أندريه (1885-1947)، مُستشرق سويدي، كان أستاذاً للعلوم الدينية في جامعة ستوكهولم. المترجم].

(1) هورفتس، معراج مُحمَّد، **مجلة الإسلام**، 9، 1918-1919، الصفحة 171 وما يليها.

(2) [قال الزبير حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال حدَّثني رجل من أهل الكوفة قال: كان أميّة نائماً فجاء طائران، فوقع أحدهما على باب البيت، ودخل الآخر فشقّ عن قلبه ثمَّ ردّه الطائر؛ فقال له الطائر الآخر: أوعى؟ قال نعم. قال: زكا؟ قال: أبى. أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا أبو غسّان مُحمَّد بن يحيى قال حدَّثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزّهريّ قال: دخل يوما أميّة بن أبي الصّلت على أخته وهي تهيئ أدماً لها، فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت. قال: فانشقّ جانب من السقف في البيت، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه، فشقّ الواقع صدره فأخرج قلبه فشقّه؛ فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى. قال: فردّ قلبه في موضعه فنهض؛ فأتبعهما أميّة طرفه فقال: لبّيكما لبيكما، ها أنا ذا لديكما، لا بريء فأعتذر، ولا ذو عشيرة فأنتصر. فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه، ثمَّ أخرج قلبه فشقّه؛ فقال الطائر الأعلى: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى، ونهض؛ فأتبعهما بصره وقال: لبّيكما لبيكما، ها أنا ذا لديكما، لا مال يغنيني، ولا عشيرة تحميني. فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه، ثمَّ أخرج قلبه فشقّه؛ فقال الطائر الأعلى: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى، ونهض؛ فأتبعهما بصره وقال: لبّيكما لبيكما، ها أنا ذا لديكما، محفوف بالنّعم، محوط من الريب. قال: فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه

عمليةُ استقصاءٍ وتحقيق، تماماً كما حدَثَ مع مُحمَّد، عندما كان طفلاً في الصحراءِ، لكنْ لا بدَّ من تفسيرِ أسطورةِ شقِّ صدر مُحمَّد بكلماتِها الواضحة في إطارِها الدينيِّ الإسلاميِّ، فهي ليست شبيهةً بأيَّةِ أسطورةٍ من أساطير أُميَّة[1]، وما قامَ به الرجلانِ ذوا الثيابِ البيض، هو عمليةُ بحثٍ، هدفُها بيانُ فضيلةِ مُحمَّدٍ في طفولته، ممَّا هيَّأه لأنَّ يكونَ نبيّاً، وهو واضحٌ لكلِّ مسلمٍ، ولم يُذكرْ هنا أنَّ الرجلينِ وجدا ما بحثا عنه.

ومن ثَمَّ حدَّدَ الدينُ الإسلاميُّ وبيئتُه مضمونَ أسطورةِ شقِّ الصدرِ الإسلامية، على الرُّغمِ من أنَّها استعارت مُفرداتِها من كلامِ رجالِ الدين، وإشاراتِهم عند الأُمَم السابقة الأخرى، ومن كلامِ العربِ الجاهليِّينَ أيضاً، فليست فكرةُ شقِّ صدورِ رجالٍ مُقدَّسين مُصطَفين في الأديـانِ البسيطة فحسب، بـل هـي فـي الديانةِ الفارسيَّة[2]، وفي الديانةِ المسيحيَّة القديمة[3]، لذا تبدو الفكرةُ ذاتَ نمطٍ عامٍّ، وقد استوحت مفرداتُها دلالةً جديدةً من السياقِ الروحي الجديد الذي انتمت إليه، إذ يُفحصُ النَّبيُّ المُستقبلي فحصاً دقيقاً من خلالِ شقِّ بطنه، بوساطةِ رُسلٍ مخصوصين من العالمِ الغيبيِّ، ذلك أنَّ الشقَّ خارقٌ للعادةِ، لا يُجرَى على كلِّ

وأخرج قلبه فشقَّه؛ فقال الأعلى: أوعى؟ فقال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى. قال: ونهض، فأتبعهما بصره وقال: لبّيكما لبيكما، ها أنا ذا لديكما، أن تغفر اللهمّ تغفر جمّاً وأيّ عبد لك لا ألمّاً. الأغاني، 4: 346-347. المترجم].

(1) انظر الصفحة 151 وما بعدها، فيما يتعلق بأسطورةِ طائرين يظهران لمحمد.

(2) [أي الديانة الزرادشتية. المترجم].

(3) هورفتس، معراج محمد، مجلة الإسلام، صفحة 170.

امرئٍ، وهو علامةٌ على فضيلةِ مُحمَّد الربانيَّة بالنسبةِ للمُسلمين، أكثرُ من كونه تهيئةً للنُّبوة أو إعداداً لها، وهو ما كان في القرنِ الأوَّلِ الهجري.

اختفت فكرةُ البحثِ عن شيءٍ من قِبل الرجلينِ أو الطائرينِ الأولى من رواياتِ الأسطورةِ الأخرى، كما أشرنا أعلاه، واستُبدِلت بفكرةِ تطهيرِ القلب أو غسلِهِ، أو إزالةِ إثمٍ منه، أو دنسٍ، وأشرنا كذلك إلى شُهرةِ فكرةِ اصطفاء الرجال، وانتشارِها في عالمِ الأديان، والراجحُ أنَّ هناك أفكاراً إسلاميَّةً مُقتبسةً من أديانٍ، كان الدينُ الإسلاميُّ على اتِّصالٍ بها، في غُضونِ انتشارهِ الحثيث، أسهمت في بناءِ تخيُّلاتهِ، كما سيتَّضح لاحقاً في العلاقةِ بين أسطورةِ تطهيرِ القلب، وأسطورةِ المعراج[1].

الرواية الثانية

تُنسبُ روايةُ الأسطورةِ الثانية، في سيرةِ ابن إسحاق، إلى النَّبيِّ نفسِهِ، كما جاءَ في حديثِ ثورِ بن يزيد (تُوفِّيَ سنة 150هـ، أو سنة 153هـ، أو سنة 155هـ)[2]، عن بعضِ أهل العلم، يُظن أنَّه خالدُ بن

(1) الصفحة 83 وما يليها.

(2) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 2: 33-35، وانظر كذلك فيشر، تراجم رواة ابن إسحاق، صفحة 6-7.
[ثور بن يزيد الكُلاعي (تُوفِّيَ سنة 153هـ/770م)، من رجال الحديث، ويعد في الثقات. كان مُحدِّث حمص. وتُوفِّيَ في بيت المقدس. **الأعلام**، 2: 102. وأوغست فيشر (1865-1948)، مُستشرق ألماني، كان أستاذاً في جامعة (هاله). **المصدر نفسه**،1: 26. المترجم].

مَعدان الكُلاعي (تُوفِّيَ سنة 103هـ، أو سنة 105هـ، أو سنة 108هـ)[1]، وهي أنَّ عدداً من الصحابةِ طلبوا من النَّبيِّ أنَّ يُحدِّثهم عن نفسه[2].

أرى أنَّ إسنادَ هذه الرواية ضعيفٌ، حيثُ افتقرَ إلى ذكَرَ أحدِ الصحابة، على الرُّغمِ من إسنادها إلى النَّبيِّ، إذ لا يبدو جهْمُ بن أبي الجهْم، وهو الذي روى روايةَ الأسطورةِ الأخرى[3]، معروفاً، ولم يكن مُحدِّثاً (حيث لم يذكره ابنُ حجر ولا الذهبي[4])،

---

(1) ابن حجر، **تهذيب التهذيب** 3: 118 وما يليها.
[خالد بن معدان بن أبي كرب الكُلاعي (تُوفِّيَ سنة 104هـ/722م)، تابعي، ثقة، ممن اشتهروا بالعبادة. أصله من اليمن، وإقامته في حمص، وكان يتولى شرطة يزيد بن معاوية. **الأعلام**، 2: 299. المترجم].

(2) [«قال ابن إسحاق: وحدَّثني ثور بن يزيد، عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي: أنَّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى (أخي) عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً، ثمَّ أخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجنا منه علقة سوداء فطرحاها، ثمَّ غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتَّى أنقياه، ثمَّ قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثمَّ قال: زنه بمائة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثمَّ قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، فقال: دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمّته لوزنها». **سيرة ابن هشام**، 1: 166-167. المترجم].

(3) [رواية: «أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يسوطانه». المترجم].

(4) [أحمد بن علي بن مُحمَّد (ابن حجر) (773-852هـ/1372-1449م)، من أئمة العلم

وكذلك سيِّدُه الحارثُ بن حَاطب الذي وُلِد في إثيوبيا، وعُيِّن حاكماً لمكَّة في عامِ ستَّة وستِّين للهجرة، ويقال عنه: إنه روى الحديثَ عن النَّبيِّ. وبناءً على هذا، فإنَّ اختلافَ طبيعةِ الروايتين، وأسلوبيهما واضحٌ، إذ تُمثِّل الروايةُ الأولى الشكلَ المُبسَّطَ للأسطورة، وهي من بيئةٍ مُختلفة، بمُقارنتها بالروايةِ الثانية التي صِيغَ شكلُها ومضمونُها في بيئةِ المُحدِّثين، أمَّا فيما يتعلَّقُ بالتاريخ، فلا بدَّ من أنَّ تكونَ الروايةُ الأولى أصلاً للثانية. ولقد مثَّل الإسنادُ، في سلسلةِ هذه الروايةِ، وسلسلةِ الرواية الأولى النقلَ الشفهيَّ للأسطورة، ودلَّ على انتشارِها بين المُحدِّثين، وحضورِها في أذهانِهم حوالي عامِ مائةٍ للهجرة.

من البديهي اتِّسامُ الروايةِ الثانية بنمطٍ دينيٍّ، فقد كانت الأسطورةُ، في روايتِها الأولى، حادثةً في بيئةٍ صحراويةٍ رعوية، رُويت بأسلوبٍ بسيطٍ، في حينِ كشفت الروايةُ الثانية عن محيطِها المختلفِ في بدءِ مطلعِها، حيثُ ورَدَ فيها أنَّ مُحمَّداً قد قال: «أنا دعوةُ أبي إبراهيم، وبشرى (أخي) عيسى ...». ويُقال: إنَّ النَّبيَّ روى الأسطورةَ نفسَها على النحو الآتي: «واستُرضِعتُ في بني سعدِ بن بكر، فبينا أنا مع أخٍ لي، خلفَ بيوتنا، نرعى بُهماً[1] لنا، إذ أتاني رجلانِ، عليهما ثيابٌ بيضٌ، بطستٍ من ذهبٍ مملوءةٍ ثلجاً، ثمَّ أخذاني فشقَّا بطني، واستخرجا قلبي فشقَّاه، فاستخرجا

والتاريخ. أصله من عسقلان، ومولده ووفاته بالقاهرة. **الأعلام**، 1: 178. ومحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (673-748هـ/1274-1348م)، مؤرخ، حافظ للحديث، مولده ووفاته في دمشق. المصدر نفسه، 5: 326. المترجم].

(1) [بُهم وبهائم جمع بهيمة. **القاموس المُحيط**، 1081. المترجم].

منه علَقَةً سوداءَ فطرَحَاها، ثمَّ غسلا قلبي وبطني بذلك الثلجِ حتَّى أنقياه»، يتبع ذلك روايةُ وزنِ النَّبيِّ على أُمَّته، وبناءً على ذلك لا يمكنُ الشكُّ في نمطِ الروايةِ الإضافيِّ الواضح، فالفكرةُ هنا هي تطهيرُ القلب، والراجحُ أنَّ علَقَة الدَّمِ السوداءَ فيه تدلُّ على دنسٍ كامنٍ في مُحمَّد؛ كونَه مُنتمياً إلى مجتمعٍ وثنيٍّ جاهلي، وهذا هو قوامُ الأسطورة في بيئةِ المُحدِّثين، غيرُ تلك التي نشأت فيها أصلاً.

حفَلَ وزنُ النَّبي في الروايةِ الثانية بإضافاتٍ، وتعديلاتٍ كثيرةٍ عليها لاحقاً، فلم يختفِ شكلُ روايةِ الأسطورة القديم فوراً، بل استُبدِل به شكلُ هذه الروايةِ الأكثرُ تطوُّراً، ومن الجديرِ بالذكر أنَّ روايةَ الوزنِ نفسِها كانت روايةً مستقلةً أساساً، أُضيفت في وقتٍ مُبكِّر من الربعِ الأخيرِ من القرنِ الأوَّل الهجري[1]، واتَّحدت تدريجياً مع روايةِ أسطورةِ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب، وهي تعبِّر عن مكانةِ الرجلِ المُصطفَى، بالإشارةِ إلى أنَّ لديه فضائلَ خاصَّةً فريدةً، تكشفُ عن نفسِها، حتَّى في وزنِ جسدهِ على أُمَّته.

نقلَ ابنُ سعد[2] أسطورةَ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب، كما بيَّنا

---

(1) انظر هورفتس، إلى أسطورة مُحمَّد، مجلة الإسلام، 5، 1914، الصفحة 41 وما يليها، وانظر كذلك تور أندريه، شخص مُحمَّد في تعاليم ومُعتقدات مُجتمعه، الصفحة 20 وما يليها، فيما يتعلق بروايات طفولة النبي.

(2) طبقات ابن سعد، 1: 96-97.

[حدَّثنا عبد الوهاب بن عطاء عن ثور بن يزيد. وأخبرنا مُحمَّد بن عمر. أخبرنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال: قيل لرسول الله ﷺ: أخبرنا عن نفسك. قال: نعم، أنا دعوة إبراهيم وبشر بي عيسى ابن مريم ورأت أمي حين وضعتني خرج منها نور أضاءت له قصور الشام

آنفاً، ويكادُ يكونُ متنُها متطابقاً حرفياً مع متنِ الروايةِ الثانية في سيرةِ ابن إسحاق، بما في ذلك روايةُ وزنِ النَّبي على أُمَّته، وإسنادُها مُتطابق أيضاً، فيما عدا أنه قدَّم مصدري إسنادٍ مختلفينِ لاحقين لثورِ بن يزيد، هما: عبدُ الوهاب بن عطاء[1] ومُحمَّدُ بن عمر[2]، ولا بدَّ من الإشارةِ إلى أنَّ خالدَ بن معدان أصبحَ راوياً ثقةً في هذه الروايةِ، وهو تطوُّرٌ معتادٌ في تاريخِ الإسناد، وأن هذه الروايةَ هي الأولى في كتابِ الطبقاتِ الكبرى لابنِ سعد في باب: «**ذكر علامات النُّبوة في رسول الله ﷺ قبل أنَّ يوحى إليه**»، فيبيِّن عنوانُ هذا البابِ مدى قَبولِ الرأيِ العامِّ له في حينه[3].

في تاريخِ الطبري إشارةٌ إلى تطوُّرِ الأسطورة، حيثُ نقلَ روايتي

واسترضعت في بني سعد بن بكر. فبينما أنا مع أخي خلف بيوتنا نرعى بهما أتاني رجلان عليهما ثياب بياض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً فأخذاني فشقا بطني فاستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثمَّ غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج ثمَّ قال زنه بمائة من أمته. فوزنوني بهم فوزنتهم. ثمَّ قال زنه بألف من أمته. فوزنوني بهم فوزنتهم. ثمَّ قال دعه فلو وزنته بأمته لوزنها. **الطبقات الكبرى**، 1: 119. المترجم].

(1) تُوفِّيَ بين سنتي 198 و204هـ، انظر ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 6: 450 وما يليها.
[عبد الوهاب بن عطاء البصري، الإمام، المُحدِّث، سكن بغداد. تُوفِّيَ في آخر سنة أربع ومائتين. **سير أعلام النبلاء**، 9: 451، 453. المترجم].

(2) [محمد بن عمر بن واقد (130-207هـ/747-823م) من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة، وتُوفِّيَ في بغداد. **الأعلام**، 6: 311. المترجم].

(3) راجع الصفحة 60 وما بعدها، والصفحة 134 وما بعدها.

شقِّ الصدرِ في طفولةِ النَّبي من سيرةِ ابن إسحاق[1]، فاقتبسَ الروايةَ الأولى حرفياً[2]، عن ابنِ إسحاق نفسه كما ذُكِرَ آنفاً، وبمَّا لا يقلُّ عن أربعةِ رواة مُختلفين، أمَّا الروايةُ الثانيةُ[3]، فنقلها عن

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 966 وما يليها.
[تاريخ الطبري، 2: 157. المترجم].

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 972، الأسطر 12-18.
[تاريخ الطبري، 2: 160، السطر 5. المترجم].

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 973، السطر 12، و975، السطر 17.
[حدَّثنا نصر بن عبد الرحمن الأزدي، قال: حدَّثنا مُحمَّد بن يعلى، عن عمر بن صبيح، عن ثور بن يزيد الشامي، عن مكحول الشامي، عن شداد بن أوس، قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ، إذ أقبل شيخ من بني عامر، وهو مدرة قومه وسيدهم، من شيخ كبير يتوكأ على عصا، فمثل بين يدي النَّبي ﷺ قائماً، ونسبه الى جده، فقال: يا بن عبد المطلب، إني أُنبئت أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس، أرسلك بما أرسل به إبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنك فوهت بعظيم، وإنما كانت الأنبياء والخلفاء في بيتين من بني إسرائيل، وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان، فما لك وللنبوة! ولكن لكل قول حقيقة، فأنبئني بحقيقة قولك، وبدء شانك، .... وكنت مسترضعاً في بني ليث بن بكر، فبينا أنا ذات يوم منتبذ من أهلي في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان نتقاذف بيننا بالجلَّة، إذ أتانا رهط ثلاثة معهم طست من ذهب مليء ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هراباً حتَّى انتهوا إلى شفير الوادي، ثمَّ أقبلوا على الرهط فقالوا: ما أرَبكم إلى هذا الغلام، فإنه ليس منا، هذا ابن سيد قريش، وهو مسترضع فينا، من غلام يتيم ليس له أب، فماذا يرد عليكم قتله، وماذا تصيبون من ذلك! ولكن إن كنتم لا بدَّ قاتليه، فاختاروا منا أينا شئتم، فليأتكم مكانه فاقتلوه، ودعوا هذا الغلام فإنه يتيم، فلما رأى الصبيان القوم لا يحيرون إليهم جواباً، انطلقوا هراباً مسرعين إلى الحي، يؤذنونهم ويستصرخونهم على القوم، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعاً لطيفاً، ثمَّ شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، وأنا

الراوي نفسهِ في سيرةِ ابن إسحاق، أي ثور بن يزيد، إلا أنَّه استبدلَ سلسلةَ إسناد ابن إسحاق، قبلَ ثورِ بن يزيد، وهي غيرُ دقيقة: (عن بعضِ أهل العلم، نفرٍ من أصحابِ رسول الله)، بشخصين مُختلفين مُعرفيَّن، هما مكحولُ الشامي[1]، عن الصحابي شدَّاد بن أوس[2]،

أنظر إليه، فلم أجد لذلك مساً ثمَّ أخرج أحشاء بطني ثمَّ غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها، ثمَّ أعادها مكانها، ثمَّ قام الثاني منهم فقال لصاحبه: تنحَّ، فنحَّاه عني، ثمَّ أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي وأنا أنظر إليه فصدعه، ثمَّ أخرج منه مضغة سوداء، فرمى بها ثمَّ قال بيده يمنة منه، كأنه يتناول شيئاً، فإذا أنا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه، فختم به قلبي فامتلأ نوراً، وذلك نور النبوة والحكمة، ثمَّ أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثمَّ قال الثالث لصاحبه: تنحَّ عني، فأمر يده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، فالتأم ذلك الشقّ بإذن الله، ثمَّ أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً، ثمَّ قال للأول الذي شق بطني: زنه بعشرة من أمته، فوزنوني بهم فرجحتهم، ثمَّ قال: زنه بمائة من أمته، فوزنوني بهم فرجحتهم، ثـمَّ قـال: زنـه بألف من أمته، فوزنوني بهم فرجحتهم. فقال: دعوه، فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم قال: ثمَّ ضموني إلى صدورهم وقبّلوا رأسي وما بين عيني، ثمَّ قالوا: يا حبيب، لم ترع، إنك لو تدري ما يُراد بك من الخير لقرّت عيناك. **تاريخ الطبري**، 2: 160 - 162. المترجم].

(1) مُحدِّث من التابعين، تُوفِّيَ بين سنتي 113 و128هـ، انظر ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 10: 289 وما يليها.
[مكحول بن أبي مُسلم شهراب (تُوفِّيَ سنة 112هـ/730م)، فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث. أصله من فارس، ومولده بكابل. **الأعلام**، 7: 284. المترجم].

(2) تُوفِّيَ بين سنتي 41 و64هـ، انظر ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 4: 315.
[شدَّاد بن أوس بن ثابت الخزرجي (تُوفِّيَ سنة 58هـ/677م)، صحابي، من الأمراء، تُوفِّيَ في القدس. **الأعلام**، 3: 158. المترجم].

غير أنَّ هذا الاستبدالَ لا يدلُّ على معرفةٍ برواةِ الحديث القدامى، واطِّلاعٍ على أحوالهم، بل يعكسُ الدعواتِ المُتزايدةَ لإسنادِ الحديث. علاوةً على ذلك، نلاحظُ تناميَ الروايةِ عند الطبري إلى صفحتين، بدلاً من ستَّةِ أسطرٍ عند ابن إسحاق، ومن الواضحِ أنَّ التفاصيلَ الإضافية في روايةِ الطبري الأخيرة ترجعُ إلى صياغةِ الأسطورةِ اللاحقة، فهذه الروايةُ إذاً هي التي تطوَّرت، وبقيت روايةُ سيرةِ ابن إسحاق الأولى كما هي.

طُهِّر الطفل كُلياً وفقاً للطبري، وحصَلَ على ختمِ النُبوَّة ونورِها[1]، وهي خصائصُ لم تردْ في سيرةِ ابن إسحاق، فلَم تُشرْ روايةُ ابن إسحاق الثانية إلى تثبيتِ نبوَّةِ مُحمَّد مباشرةً، بل هي أكثرُ تطوُّراً من الروايةِ الأولى، من حيثُ اصطفاءِ النَّبيِّ، عندما كان طفلاً، مع إضافةِ تطهيرِ للقلب؛ لحفظِ الطفلِ من ذنوبِ الوثنيَّة والشركِ العظيمة، وهكذا تغيَّر نمطُ الروايةِ بالكاملِ خلالَ المدَّةِ ما بين العامين: مائةٍ وخمسين وثلاثمائةٍ للهجرة، وعُدِّلت؛ لتتوافقَ مع مُتطلَّباتِ المنظومةِ الدينيَّة، وأُعدِّت لتثبيتِ النُبوَّةِ المُبكِّرِ في سنِّ الطفولة، ثمَّ صُنِّفت هذه الخطواتُ في مددٍ لاحقة[2]، إذ كان المُرادُ من الأسطورة، في شكلِها العامِّ، أنْ تُشيرَ إلى تثبيتِ نبوَّةِ مُحمَّد، ولو وُضعت في سنِّ طفولتِهِ.

---

(1) راجع العبارات: «وبدء شأنك»، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 974، السطر الرابع، و«فختم به قلبي»، و«نور النُبوَّة والحكمة»، الطبري، المصدر نفسه، 1: 975، السطر الحادي والثاني عشر.

(2) انظر الصفحة 131 وما يليها.

الفصل الثاني

أسطورة شقِّ الصدر في فتراتٍ لاحقة

مُقدِّمة

لم يمنع تطوُّرُ أسطورة شقِّ الصدر الديني خاصةً، والتطوُّر الإسلامي بشكلٍ عامٍّ آنذاك، وجودَ الأسطورةِ نفسِها بأشكالٍ أخرى، مُختلفٌ بعضُها عن بعضٍ في الوقت نفسه، فغالباً ما استمرت أسطورةٌ على بنيتِها الأصليةِ حتَّى بعدِ تطويرِ بنيةٍ إضافية أخرى منها، وعلى المنوالِ نفسِه قد تتَّضحُ المراحلُ المُتعاقبةُ لتطوُّرِ الأسطورةِ تاريخياً، وقد عملَ الطبري على جمعِ كلِّ ما يتعلَّقُ بحياةِ مُحمَّد، وكان عليه كتابةُ كلِّ حديثٍ، وإن كانَ مُتناقضاً مع أحاديثَ أخرى، حالُه حالُ العلماءِ الآخرين، فنقَلَ رواياتٍ من أُسطورةِ شقِّ الصدر نفسِها بأشكالٍ أخرى أيضاً، بالإضافةِ إلى روايتي الأسطورةِ في سنِّ طُفولةِ مُحمَّد، والأولى منهما كما رأينا، هي أصلٌ للأسطورةِ دون أي تطوُّر، في حينِ مثَّلت الروايةُ الثانية في وقتها، «إجماعاً» على تفضيلِ الله مُحمَّداً في طفولته[1].

لذا فإنَّ لمهمَّةِ المؤرخِ الحديث جانباً مزدوجاً، إذ يجبُ عليه إظهارُ مراحلِ تطوُّرِ الأسطورة التاريخي من مرحلةٍ إلى أخرى طولياً، وكذلك تزامنُ رواياتِ كلِّ مرحلةٍ أفقياً، وأُسطورةُ شقِّ

---

(1) انظر الصفحة 131 وما يليها.

صدرِ مُحمَّد، محلَ بحثنا، توضِّح هذا الجانبَ المزدوجَ المُعروف في تاريخ الأفكار البشرية، وقد قدَّم الحلبي[1] في كتابِهِ السيرة الحلبية[2]، والآلوسي[3] في تفسيرهِ للقرآن[4] ثمرةَ هذا الجانبِ النهائيَّة، وذلك عند جمعهما أطوارَ الأسطورةِ المُتعاقبةَ والمُتزامنةَ، واعتبرا أنَّ كلَّ طورٍ يُمثِّلُ حادثةَ شقِّ صدرٍ مُختلفةٍ عن الأخرى، وأضافا أطوارَ هذه الحوادثِ المُختلفة إلى الأسطورةِ، ووزَّعاها على فتراتٍ مختلفةٍ من حياةِ النَّبيِّ، وأسندا الإضافاتِ إلى علماءٍ سابقين.

يبدو أنَّ الطبري سارَ من قبلُ على المسارِ نفسه، ولا شكَّ في أنَّه حسِبَ روايتي شقِّ صدر مُحمَّد في طُفولته للحدث نفسها، مثلما فعلَ ابنُ إسحاق ـ ابن هشام، فنقلَ أيضاً روايتينِ أُخريينِ من الأسطورةِ نفسِها أيضاً[5]، أي الأُسطورة التي تُقرنُ شقَّ الصدر بالبعثة وبالمعراج[6]، وقد اعتنى بالروايةِ الأولى أهلُ السُّنَّةِ

(1) [علي بن إبراهيم بن أحمد (975-1044هـ/1567-1653م)، مؤرخ أديب. أصله من حلب، ومولده ووفاته بمصر. **الأعلام**، 4: 251-252. المترجم].

(2) انظر الصفحة 16.

(3) [محمود بن عبد الله الحسيني (1217-1270هـ/1802-1854م)، فقيه ومُفسِّر ومُحدِّث وأديب، من المُجدِّدين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. **الأعلام**، 7: 176. المترجم].

(4) الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، 30: 166 وما يليها. [**تفسير الآلوسي**، 15: 386-387، المترجم].

(5) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 1: 1154-1155، و1157-1158.

(6) [**الرواية الأولى**: «حدَّثني أحمد بن مُحمَّد بن حبيب الطوسي، قال: حدَّثنا أبو داود الطيالسي، قال: أخبرنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي، قال: أخبرني عمر بن عروة بن الزبير، قال: سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر

والجماعة، دونَ غيرهم من العلماءِ، والمرجَّحُ أنَّ الطبري افترَض أنَّ شقَّ الصدر في الروايتينِ الأخيرتين كان نتيجةً لاختلافِ الآراءِ بين المُحدِّثين، بحيثُ يكونُ شقُّ الصدرِ في الروايةِ الثانية مقبولاً أكثرَ ممَّا وردَ في الرواية الأولى بحسبِ رأيِهِ[1]، إذ إنَّني أشكُّ في

الغفاري، قال: قلت: يا رسول الله، كيف علمت أنك نبي أول ما علمت، حتَّى علمت ذلك واستيقنت؟ قال: يا أبا ذر، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة، فوقع أحدهما في الأرض والآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو، قال: فزنه برجل، فوزنت برجل فرجحته، ثمَّ قال: زنه بعشرة، فوزنني بعشرة فرجحتهم، ثمَّ قال: زنه بمائة، فوزنني بمائة فرجحتهم، ثمَّ قال: زنه بألف، فوزنني بألف فرجحتهم، فجعلوا ينتثرون علي من كفة الميزان، قال: فقال أحدهما للآخر: لو وزنته بأمته رجحها ثمَّ قال أحدهما لصاحبه: شق بطنه، فشق بطني، ثمَّ قال أحدهما: أخرج قلبه - أو قال: شق قلبه - فشق قلبي، فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم، فطرحها، ثمَّ قال أحدهما للآخر: اغسل بطنه غسل الإناء، واغسل قلبه غسل الإناء - أو اغسل قلبه غسل الملاءة - ثمَّ دعا بالسكينة، كأنها وجه هرة بيضاء فأدخلت قلبي، ثمَّ قال أحدهما لصاحبه: خط بطنه، فخاطا بطني، وجعلا الخاتم بين كتفي، فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أعاين الأمر معاينة».

الرواية الثانية: «حدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا هارون بن المغيرة وحكام بن سلم، عن عنبسة، عن أبي هاشم الواسطي، عن ميمون بن سياه، عن أنس بن مالك، قال: لما كان حين نبئ النَّبي ﷺ، وكان ينام حول الكعبة، وكانت قريش تنام حولها، فأتاه ملكان: جبرائيل وميكائيل، فقالا: بأيهم أمرنا؟ فقالا: أمرنا بسيدهم، ثمَّ ذهبا، ثمَّ جاءا من القبلة، وهم ثلاثة، فألفوه وهو نائم، فقلبوه لظهره، وشقوا بطنه، ثمَّ جاؤوا بماء من ماء زمزم، فغسلوا ما كان في بطنه من شك أو شرك أو جاهلية أو ضلالة، ثمَّ جاؤوا بطست من ذهب، مليء إيماناً وحكمة، فملئ بطنه وجوفه إيماناً وحكمة، ثمَّ عرج به إلى السماء الدنيا». **تاريخ الطبري،** 2: 304-308، المترجم].

(1) انظر الصفحة 123 وما يليها.

أنَّه رأى شقَّ الصدر، في الروايتين، هو شقَّان لصدر مُحمَّد حينما كان طفلاً.

لقد وُضعت هاتانِ الروايتانِ بعدَ ابنِ إسحاق والواقدي ـ ابن سعد، وهما تجمعان بينَ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب من جهةٍ، والمعراج والبعثة (في وقت ما قبل البعثة، أو في غُضونها) من جهةٍ أخرى؛ لذا يتعيَّنُ علينا أنَّ نهتمَّ بهما، في هذه المرحلةِ، اهتماماً أكبرَ.

أسطورة شقّ الصدر تمهيداً للبعثة

تظهر روايتا أسطورةِ شقِّ الصدر عند الطبري على أنَّهما مُقدِّماتٌ لأساطير أخرى[1]، أو إرهاصاتٌ لنُبُوَّةِ مُحمَّد قبلَ بعثته، وذلك بتأثيرِ عوامل خارجيَّةٍ، في حينِ عُدَّت الأسطورةُ تمهيداً للبعثةِ في وقتٍ سابق، فلا يمكنُ تغافلُ طبيعتِها هذه.

ومن هنا تبدو روايتا أسطورةِ شقِّ الصدر عند الطبري، أساطيرَ بعثةٍ، كانت مُستقلَّةً في الأصلِ، وذلك عندَ تركِ سياقاتهما وإغفالِ قرائنهما، وسوف نتطرَّقُ إلى أنَّ هذا الرأيَ هو الذي يُعطي تفسيراً معقولاً لتاريخِ تطوُّرِ الأسطورة، من حيثُ إنَّها كانت أسطورةَ بعثةٍ في الأصل، وما مسوغاتُ هذا الرأي؟، وإن كان شريكه وبيفان وهورفتس على حقٍّ في قولِهم: إنَّ أسطورةَ شقِّ صدر مُحمَّد، عندَ بلوغهِ سنَّ الرشد، كانت مُترابطةً مع أسطورةِ المعراج أساساً[2]؛ كونَ أسطورةِ المعراج هي أسطورةٌ مُختلفة، إذ ورَدَت أسطورةُ شقِّ الصدر فقط في سياقاتٍ مُختلفة فيما بعدُ، كما سيأتي.

(1) [مثل أسطورة الإسراء والمعراج. المترجم].
(2) [يُنظر رأيهم في المُقدِّمة، الصفحة 19. المترجم].

تُمثِّل روايةُ الطبري الثانية[1] أحدَ أحاديثِ أنسٍ بن مالك[2] الكثيرة التي تربط روايتي شقِّ صدرِ مُحمَّد وتطهيرِ قلبه بمعراجه[3]، وهو حديثٌ رواه ابنُ حُميد[4]، قالَ: حدَّثنا هارونُ بن المغيرة[5] وحكامُ بن سلم[6]، عن عنبسةَ[7]، عن أبي هاشم الواسطي[8]، عن ميمونِ بن سياه[9]، عن أنسٍ بن مالك، ويُشير أسلوبُ الروايةِ إلى تطهيرِ قلبِ مُحمَّد الأصلي تمهيداً لبعثتهِ أكثرَ من أيَّةِ روايةٍ أخرى، نظراً إلى وجودِ تاريخٍ للأسطورةِ في هذا الحديث، وذلك من خلالِ إدراكِ أنَّ تشكيلَ «الفتحة» خاطئٌ في كلمة «حينَ» في طبعةِ

(1) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 1: 1157-1158.

(2) [أنس بن مالك الأنصاري (10ق.هـ ـ 93هـ/612-712م) صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، مولده بالمدينة، ووفاته بالبصرة. **الأعلام**، 2: 24-25. المترجم].

(3) في الواقع إنه حديث المعراج الذي أُسند أصلاً إلى أنس، وليس التمهيد له، انظر الصفحة 106.

(4) [محمد بن حميد الرازي (تُوفِّيَ سنة 248هـ/862م) مُحدِّث من أهل الري، زار بغداد. **الأعلام**، 6: 110-111. المترجم].

(5) [هارون بن المغيرة البجلي الرازي (تُوفِّيَ بين سنتي 181 و190هـ) مُحدِّث. **تاريخ الإسلام** للذهبي، 4: 991. المترجم].

(6) [حكام بن سلم الكناني (تُوفِّيَ سنة 190هـ) مُحدِّث من الثقات، من نبلاء العلماء، تُوفِّيَ بمكة أثناء حجِّه. **سير أعلام النبلاء**، 9: 88. المترجم].

(7) [عنبسة بن سعيد بن الضريس الأسدي، مُحدِّث ثقة، قاضي الري على أهل الذمة. **الجرح والتعديل** لابن أبي حاتم، 6: 399. المترجم].

(8) [يحيى بن دينار (تُوفِّيَ سنة 122 أو 145هـ) مُحدِّث وفقيه بواسط. **تهذيب التهذيب**، 12: 261-262، وقيل توفي: سنة اثنتين وثلاثين ومائة. **سير أعلام النبلاء**، 6: 152. المترجم].

(9) [ميمون بن سياه البصري مُحدِّث، اختُلف في ضعفه وتوثيقه. **تهذيب التهذيب**، 12: 388-389. المترجم].

كتابِ تاريخ الطبري، جامعة لايدن: «لمَّا كانَ حينَ نُبِّئ النَّبيُّ، وكان ينامُ حولَ الكعبةِ ... فأتاهُ ملَكانِ»[1]، فلا بدَّ من أنَّ يكونَ تشكيلُ الكلمةِ الصحيحُ بالضمَّة: «حينُ»، وإلا فسيكونُ متنُ الجملةِ الشَّرطية التي تبدأ بعبارةِ: «لمَّا كان» خالياً من جوابِ الشرط، ومن هنا يجبُ أنْ يكونَ تفسيرُ الجملة: «لمَّا دُعي النَّبيُّ .... أتاه ملَكان»، أمَّا من ناحيةِ اختيارِ الطبري التعبيرَ المُبهمَ: «لمَّا»، فالسببُ راجعٌ إلى أنه قدَّم مُسبقاً تواريخَ لبعثةِ مُحمَّد؛ تماشياً مع رأي أهلِ السُّنَّةِ والجماعة.

كما تستبعدُ الألفاظُ الـواردةُ في الرواية: «شـرك» و«ضلالة» و«جاهلية» أيَّ احتمالٍ آخرَ غيرَ تعلُّقِها ببعثةِ النَّبيِّ، ومن ثَمَّ تُبيِّنُ هذه الألفاظُ أنَّ الروايةَ كانت في الأصلِ أسطورةً خاصةً بتمهيدِ بعثته: «غسلوا (الملائكة بعد أنْ جلبوا الماءَ من زمزم) ما كانَ في بطنهِ من شكٍّ، أو تعدُّدِ آلهةٍ (شرك)، أو وثنيَّةٍ (جاهليَّة)، أو خطأٍ (ضلالة)، ثمَّ أحضروا حوضاً ذهبياً، مُلئ إيماناً وحكمة .... إلى آخره»، ثمَّ يتبعُ ذلك المعراجُ.

فضلاً عن ذلك، فإنَّ تاريخَ الروايةِ الذي اعتمده الطبري[2] من الحديث المنقول إليه دمَـجَ بين أسطورة شـقِّ الصدر للبعثة، وأسطورة شقِّ الصدر للمعراج، وأن ارتباطَ أسطورةِ البعثة بكلٍّ من التاريخِ، والألفاظِ المذكورين آنفاً هو مُحدَّدٌ أكثرَ بكثيرٍ ممَّا هو

(1) [لم يرد هذا الخطأ في طبعة الكتاب العربية بعد تحقيقه وتنقيحه لاحقاً. المترجم].

(2) انظر الصفحة 123.

عليه في رواياتٍ أخرى مهَّدت للمعراجِ أيضاً، الأمرُ الذي يُظهرُ تناقضاً فيما بين رواياتٍ لاحقة مُجمعٍ عليها، حيثُ يدعمُ إسنادُ الرواية هذا التناقضَ؛ لأنَّ أقدمَ راوٍ بعد أنسٍ بن مالك، هو ميمونُ بن سياه الذي يبرزُ دائماً في أساطيرٍ من هذا النوعِ، وهو مُحدِّثٌ ذُكِرَ هنا فحسب، بوصفهِ راوياً للأسطورةِ محلَّ البحث، ولم يوثِّقه ابنُ حجر العسقلاني[1]، ممَّا يدلُّ على تركِ علماءِ أهل السُّنَّة والجماعة الأحاديثَ والرواياتِ المنسوبةَ إليه في الغالب[2]، فلا توجدُ روايتُه في كتبِ الحديثِ الصحيح[3]، ولا تردُ ألفاظُ: «شرك وضلالة وجاهلية» في رواياتِ الأسطورةِ اللاحقةِ مُطلقاً، ومن الجديرِ بالذكرِ أنَّ أبا هاشم الواسطي، تُوفِّيَ سنة 122هـ، أو سنة 145هـ[4]، كان راوياً ثقةً عموماً، وفي نقلهِ على الأقلِّ، على الرُّغم من أنَّه نقلَ عن رواةٍ، ربَّما كانوا ضعفاءَ[5]، فمن الراجحِ إذن أَنْ يعكسَ الحديثُ رأياً سائداً عندَ رواةٍ مُحدِّدين، في أوائلِ

---

(1) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 12: 388-389.

(2) في واقع الأمر أنَّ تعقيب المُسلمين للأحاديث يدور في حلقةٍ مُفرغةٍ؛ لأنَّه يركز على كمال الإسناد وموثوقية الناقلين، ولكن هذه الموثوقية فقط كانت في حالات عديدة مُستخرجة من محتويات الأحاديث، أي بالانسجام مع «الإجماع».

(3) [ومنها: الكتب الستة أشهر كتب الحديث في القرن الثالث الهجري وهي بحسب منزلتها «الجامع الصحيح» للبخاري، و«صحيح مُسلم»، و«سنن ابن ماجة»، و«سنن أبي داود»، و«جامع الترمذي»، و«سنن النسائي». تُعدّ أصحّ كتب الحديث. وقد يلحق بها «مُسند أحمد». **الموسوعة العربية الميسرة**، 2665. المترجم].

(4) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 12: 261-262.

(5) [في نقله عن ميمون بن سياه. المترجم].

القرنِ الثاني للهجرة، ولا بدَّ من أنْ نفترضَ أنَّ أسطورةَ شقِّ الصدر ارتبطت بالمعراجِ، في وقتٍ مُبكِّرٍ، عندَ الرواةِ الذين اقتبسَ الطبري منهم آنذاك، ومن ثَمَّ، فلا بدَّ من أنْ تكونَ أسطورةُ شقِّ الصدر للبعثة أقدمَ من أسطورة الشقِّ للمعراج.

هكذا يوجدُ لدينا نصٌّ ثابتٌ، مقارنةً بغيرِهِ، بدت فيه أسطورةُ شقِّ الصدر وتطهيرُ القلب مُمهدةً للبعثةِ في رواية الطبري هذه، حيثُ أُبقيَ على ارتباطِها بالبعثةِ بشكلٍ لا لبسَ فيه، على الرُّغمِ من أنَّها كانت صالحةً لأنْ تكونَ تمهيداً للمعراج، وهي تختلفُ اختلافاً كثيراً عن الرواياتِ المشابهةِ لها في كتبِ الحديثِ الصحيح[1].

خلت أسطورةُ شقِّ الصدر من أسطورةِ المعراجِ، ومن أيَّةِ أسطورةٍ أخرى في روايةِ الطبري الأولى[2]، وهي عن الطيالسي (تُوفِّيَ 203هـ/ 818م)[3]، عن جعفرِ بنِ عبد الله بن عثمان

---

(1) انظر الصفحة 153 وما يليها.

(2) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 1: 1154-1155، وكذلك شبرنغر، **حياة مُحمَّد**، 1: 167.
[ألويس شبرنغر (1813-1893) مُستشرق نمساوي، حصل على (الجنسية) الإنجليزية سنة 1838، أستاذ اللغات الشرقية في جامعات متفرقة. **الأعلام**، 2: 8. المترجم].

(3) بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ملحق 1: 257.
[سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (133-204هـ/750-819م) من كبار حفاظ الحديث، فارسي الأصل، سكن البصرة وتُوفِّيَ بها. **الأعلام**، 3: 125. وكارل بروكلمان (1868-1956م)، مُستشرق ألماني، عالم بتاريخ الأدب، ودرَّس اللغة العربية في معهد اللغات الشرقية ببرلين. **الأعلام**، 5: 211-212. المترجم].

القرشي[1]، عن عمر بنِ عِرْوة بن الزبير الذي سمِعَ والدَه (تُوفِّيَ سنة 93 أو سنة 95هـ)[2]، يحدِّثُ عن أبي ذرٍّ (تُوفِّيَ سنة 32 أو سنة 33هـ)[3].

يبدأُ نصُّ الروايةِ بسؤالِ أبي ذرٍّ للنَّبيِّ: «كيفَ علمتَ أنَّك نبيٌّ أوَّلَ ما علمتَ حتَّى علمتَ ذلك واستيقنتَ؟»، فيتحدَّثُ النَّبيُّ حينئذٍ عن مَلاكينِ، أتيا إليه في مكَّة، ونرى الحديثَ المعروفَ لوزنِ النَّبيِّ على أمَّتِهِ في البداية[4]، بيد أنَّ هناك إضافةً مُميِّزةً في حوارِ الملاكينِ الاستهلاليِّ، إذ قالَ أحدُ الملاكين للآخر: «أهو هو؟» أجابَ الآخرُ: «هو هو»، ويعْقبُ ذلك طلبُ وزنِهِ، ثمَّ قالَ الملاكُ لصاحبه: «شُقَّ بطنَه»، فشُقَّ بطنُه (أو قلبُه)، واستُخرِجَ منه مغمزُ الشيطانِ وعِلَقُ الدَّم، ثمَّ رُميت بعيداً، وغُسلَ القلبُ والبطنُ، ثمَّ دعا بالسكينة[5]، وبعدَ خياطةِ الجسَد، وُضِعَ الختمُ (بمعنى

---

(1) [جعفر بن عبد الله بن عثمان بن حميد القرشي المخزومي، يقال له جعفر الحميدي، مُحدِّث ثقة. **الجرح والتعديل** لابن أبي حاتم، 2: 482-483. المترجم].

(2) [عروة بن الزبير بن العوام (22-93هـ/643-712م) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وتُوفِّيَ فيها. **الأعلام**، 4: 226. المترجم].

(3) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 12: 90-91، وكذلك **دائرة المعارف الإسلامية**، 1: 88.

[جندب بن جنادة بن سفيان (أبوذرٌ) (تُوفِّيَ سنة 32هـ/652م)، صحابي، من كبارهم، قديم الإسلام. الأعلام، 2: 140. المترجم].

(4) ذكَرَ ابن إسحاق هذا الحديث أيضاً مُقترناً بالتطهير في روايته الأولى، راجع الصفحة 13.

(5) انظر **معجم المصطلحات الإسلامية**، صفحة 634.

النُبوَّة) بين كَتِفيه. إنَّ ذكرَ الطيالسي في هذه الرواية مُلفتٌ للانتباه؛ لأنَّه روى أسطورةَ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب مُفردةً للبعثةِ، لا للمعراج، على الرُّغمِ من اقترانِ أسطورةِ البعثة بنزولِ الوحي في الآيةِ الأولى من سورةِ العلق، كما سنوضِّحُ لاحقاً[1]، فيمكنُ إرجاعُ تاريخِ هذه الروايةِ إلى نحو سنةِ مائةٍ للهجرة[2]، أي قبلَ عمرِ بن عروة بن الزبير في راويةِ الطبري الأولى.

يُظهر حوارُ الملَكين الاستهلالي: «أهو هو؟»، بمعنى: «أيٌّ منهم هو؟»، أسطورةَ شقِّ البطن، أو شقِّ القلب على أنَّها أسطورةٌ مُمهدةٌ للبعثة، حيثُ أشارت هذه الروايةُ إلى تطهيرِ قلب النَّبيِّ؛ لورودِ الألفاظِ: «مغمز الشيطان وعِلق الدم» فيها، بالإضافةِ إلى حصولهِ على ختمِ (النُبوُّة)، فأصبحَ بعد ذلك نبيّاً.

يبدو الآن أنَّ تاريخَ أسطورة شقِّ الصدر راجعٌ إلى ما قبلَ البعثة، إلا أنها عُدَّت أسطورةَ بعثةٍ، عندما حُذفت مُقدِّمةُ الحديث، ولا بدَّ من أنَّ الطيالسي قد وضَع الأسطورة مُرتبطةً بالبعثةِ في هذه الرواية، فعدَّها الطبري ضمنَ رواياتها، فبدت أحدثَ من عام مائتين للهجرة، وكذلك فعلَ بحديثِ أسطورةِ شقِّ الصدر للنبوة[3].

---

(1) [في الصفحة 64. المترجم].

(2) عروة بن الزبير هو مؤلِّف أقدم سيرة للرسول، انظر جيورجيو ليفي دلافيدا، معجم المصطلحات الإسلامية، فقرة السيرة، صفحة 700.
[جورجيو ليفي دلافيدا (1886-1967)، من كبار المستشرقين الإيطاليين. مولده ووفاته بروما، كان أستاذ العربية واللغات السامية المقارنة، في جامعتها. الأعلام، 2: 146. المترجم].

(3) [تاريخ الطبري، 2: 158-162. المترجم].

وهناك روايـةٌ من الأسطورةِ نفسِها في «السيرةِ الحلبية»، في شكلٍ مُختلفٍ عمَّا جاءت عليه عندَ الطبري، حيثُ ذكَرَ شبرنغر[1] أنَّ مُقدِّمةَ هذه الروايةِ، وتحديدَ عمرِ النَّبيِّ بعشرينَ عاماً وبعضِ الأشهر، هما اللذانِ اختلفا فقط عمَّا هو موجودٌ عند الطبري، إلا أنَّ الاختلافاتِ تمتدُّ إلى النصوصِ أيضاً، فقد ذُكِرَ فيها أنَّ شقَّ الصدرِحدَث ثلاث مرَّاتٍ: مرَّةً في طُفولةِ مُحمَّد، ومرَّةً عندما بُعِث نبيّاً عند مجيءِ الوحي)، ومرَّةً عند المعراجِ، ثمَّ أضافَ مؤلِّفُ «السيرة الحلبية» أنَّ بعضَ العلماءِ حسبوا شقّاً رابعاً أيضاً، عندما كان عمرُ النَّبيِّ عشرينَ عاماً[2]، ونجدُ الشقَّ الرابعَ (أو الخامسَ بحسبِ بعض العلماء) في كتابِ «الدر المنثور»[3]، في حديثٍ

(1) شبرنغر، **حياة مُحمَّد**، 1: 167.

(2) الحلبي، **السيرة الحلبية**، 1: 134، انظر بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، 2: 395.

[أقول: قد علمت أنَّ صدره الشريف شق مرتين غير هذه المرة: مرة عند مجيء الوحي، ومرة عند المعراج: وزاد بعضهم أنه شق عند بلوغه عشر سنين كما في مُسلم. ولما بلغ عمره ﷺ عشرين سنة: أي ولعلها هي المعنية بقول صاحب المواهب، وروي خامسة ولم تثبت، وسيأتي تلك الخامسة عن الدر المنثور، وسيأتي ما فيها والله أعلم. قال: وفي المرة التي كان ابن عشر سنين: أي وأشهر، قال ﷺ: «جاءني رجلان، فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعني لحلاوة القفا، ثمَّ شقَّا بطني، فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب، والآخر يغسل جوفي، ثمَّ شقَّ قلبي، فقال: أخرج الغل والحسد منه، فأخرج منه العلقة». **السيرة الحلبية**، 1: 148. المترجم].

(3) **الدر المنثور**، صفحة 135.

[وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الإمام أحمد، عن أبي بن كعب، عن أبي هريرة قال: «يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال: لقد سألت يا أبا هريرة إني لفي صحراء ابن

أُبي بن كعب[1]، عن أبي هُريرة[2]، وقد نقلَها الآلوسي في تفسيره[3]، وهو: أخبَر النَّبيُّ أبا هُريرةَ أنَّ معرفتَه بنُبُوَّته لأوَّلِ مرَّةٍ

عشرين سنة وأشهر، إذا بكلام فوق رأسي، وإذا برجل يقول لرجل: أهو هو؟، فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إليَّ يمشيان حتَّى أخذ كل واحد منهما بعضدي، لا أجد لأخذهما مسّاً، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه. فأضجعاني بلا قصر ولا هصر» أي من غير إتعاب، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره. ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغل والحسد. فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ثمَّ نبذها فطرحها فقال له: أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذي أخرج. أي ليدخله شبه الفضة، ثمَّ نقر إبهام رجلي اليمنى، وقال: اغدُ واسلم. فرجعت أغدو بها رأفةً على الصغير، ورحمة على الكبير». ولم يذكر في هذه المرة الغسل، فضلاً عما يُغسل به، ولم يذكر الختم، ولكن قول الرجل للآخر: أهو هو؟. يدل على أنَّ الرجلين ليسا جبريل وميكائيل؛ لأنهما يعرفانه، وقد فعلا به ذلك في قصة الرضاع، وقد يُدَّعى أنَّ هذه الرواية هي عين الرواية قبلها، وذكر عشرين سنة غلط من الراوي، وإنما هي عشر سنين. **السيرة الحلبية**، 1: 149، **والدر المنثور في تفسير المأثور**، 8: 548، المترجم].

(1) كاتبُ وحي مشهور، تُوفِّيَ بين سنتي 19 و32هـ، انظر ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 1: 187 وما يليها، وانظر كذلك غولدتسيهر، **مذاهب التفسير الإسلامي**، صفحة 8 السطر الرابع.
[أُبي بن كعب بن قيس، سيد القراء، شهد جمع القرآن في حياة النَّبي ﷺ. قيل: مات في سنة اثنتين وعشرين بالمدينة. وقيل: مات في خلافة عثمان، سنة ثلاثين. **سير أعلام النبلاء**، 1: 389-400. المترجم].

(2) صحابي، تُوفِّيَ سنة 57 أو 58 أو 59هـ (676-679م)، انظر ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 12: 262 وما يليها، انظر كذلك **دائرة المعارف الإسلامية**، 1: 99 وما يليها.
[عبد الرحمن بن صخر الدوسي (21ق.هـ- 59هـ/602-679م)، صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. **الأعلام**، 3: 308. المترجم].

(3) الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، 30: 166-167.

حدَث في الصحراءِ، عندما كان عمرُه عشرينَ عاماً، حينما سمعَ كلاماً يأتي من فوقِ رأسِه، وكان هناك رجلٌ، يتحدَّثُ إلى آخرَ: «هل هذا هو؟». ثمَّ تقدَّما نحوه بوجوهٍ، لم يسبقْ له أنَّ رأى مثلَها، وعطرٍ لم يشمَّهُ، وثيابٍ لم يرها على أحدٍ من قبلُ، ثمَّ اقتربا منه، وأمسَكا أعلى ذِراعه دون أنَّ يشعرَ بذلك، ثمَّ قال أحدُهما لصاحبه: «افلقْ صدرَه». ثمَّ انطلقَ أحدُهما نحو صدرِه، وشقَّه بدونِ دمٍ أو ألمٍ، ثمَّ قال: «أخرج الغِلَّ[1] والحسدَ». فأخرَج شيئاً، يُشبِه علَقَةَ الدَّم، ورمى به بعيداً، ثمَّ قال: «أدخل الرأفةَ والرحمةَ». «فإذا مثْلُ الذي أُخرِج شبهُ الفضَّة، ثمَّ نقَر إبهامَ رجلي اليمنى، وقال: اغدُ واسْلمْ. فرجعتُ أغدو بها رأفةً على الصغيرِ، ورحمةً على الكبير».

هذه الروايةُ أقدمُ من روايةِ الطبري الأولى حتماً، وهي مُجرَّدةٌ من نمطِها باعتبارها أسطورةً للبعثة[2]، إذ مثَّلت شكلاً ثانياً من الحديثِ نفسِه، بمعنى أنَّها أشارت إلى تطوُّرٍ إضافيٍّ آخرَ في الاتِّجاه إلى اصطفاءِ مُحمَّد نبيّاً، وهو الظاهرُ في مطلعِ روايةِ الطبري الأولى، كما أُبقيَ على السؤالِ: «أهو هو؟» في الروايةِ،

[ففي الدر المنثور أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن أبي بن كعب أنَّ أبا هريرة قال: يا رسول الله، ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟، ... روح المعاني، 15: 386-387. المترجم].

(1) الكلمة هي لصفةٍ منزوعةٍ من المؤمنين في الجنة ورَدَت في سورة الأعراف، الآية 43.
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾. المترجم].

(2) [بمعنى أنَّ رواية الأسطورة هذه جاءت مع مُقدِّمةٍ تُبيِّن أنها لاصطفاء النَّبي فقط. المترجم].

ويُذكِّرنا استخدامُ ذلك الشيءِ المصنوعِ من الفضَّة، بإحدى شعائرِ التكريسِ في دياناتٍ أخرى قديمة[1].

وهناك روايةٌ لأسطورةِ شقِّ الصدر حافظت على استقلاليتها، أي باعتبارها أسطورةَ بعثةٍ، وإن بدت للمعراجِ، وهي عن أنس بن مالك[2] على عادتهِ في ربطِ أسطورةِ شقِّ الصدر بالمعراج، جاءت في «كتاب الإيمانِ، باب الإسراءِ برسول الله ﷺ إلى السماواتِ، وفرضِ الصلوات» من «صحيح مُسلم»، وهو حديثُ أسطورةِ المعراج الخامسِ عند مُسلم[3]، ونجدُ الحديثَ نفسَه في «صحيح البخاري»[4]، حديثَ الأسطورةِ الأوَّل عنده[5]، قال أنس: إنَّه سمعَ

---

(1) انظر شريكه، معراج مُحمَّد في مجلة الإسلام، 6، 1915، الصفحة 3-4.

(2) راجع الصفحة 47-49، وانظر الصفحة 105.

(3) [حدَّثني حرملة بن يحيى التجيبي. أخبرنا ابن وهب. قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال «فرج سقف بيتي وأنا بمكة. فنزل جبريل ﷺ. ففرج صدري. ثمَّ غسله من ماء زمزم. ثمَّ جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً. فأفرغها في صدري. ثمَّ أطبقه. ثمَّ أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء. صحيح مُسلم، 1: 148. المترجم].

(4) [محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (194-256هـ/810-870م)، حافظ حديث رسول الله، وُلد في بخارى، ومات في سمرقند. الأعلام، 6: 34. المترجم].

(5) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فُرضت الصلوات في الإسراء، تحقيق لودولف كريل، 1: 99 (وانظر أيضاً باب ذكر إدريس، تحقيق لودولف كريل، 3: 335).
[صحيح البخاري، 1: 135، و3: 217. لودولف كريل (1825-1901)، مُستشرق ألماني وأستاذ مشارك اللغات الشرقية في عدة جامعات. المستشرقون، 2: 716. المترجم].

أبا ذرٍّ[1] يُحدِّثُ عن قصَّةِ شقِّ سقف بيت النَّبيِّ في مكَّة، ثمَّ نزولِ جبريل الذي شقَّ صدرَ النَّبيِّ، وغسلَه بماءِ زمزم، وأتى بطستٍ من ذهبٍ، ممتلئٍ حكمةً وإيماناً، فأفرغَه في صدرِ النَّبيِّ، ثـمَّ أطبقه، ثـمَّ يأتي المعراجُ، وانتقل الحديثُ إلى كلٍّ من «صحيح مُسلم»، و«صحيح البخاري» من خلالِ يونس[2] عن ابنِ شهاب الزُّهري[3].

يختلفُ هذا الحديثُ عن روايتي «تاريخ الطبري» الأولى، وهي عن أبي ذرٍّ، والثانيةِ[4]، وإن كان عن رواةٍ مختلفين، إلا أنَّه مُلفتٌ للنظر، حيثُ يبعثُ وجودُه في كتبِ الحديث الصحيح على الدهشةِ؛ لأنَّ نمطَ الأسطورة فيه قديمٌ جداً، فما يزالُ هذا الحديثُ يُمثِّل أسطورةَ شقِّ الصدر وتطهير القلب باعتبارها أسطورةَ بعثةٍ

---

(1) راجع الصفحة 50.

(2) يونس بن يزيد، تُوفِّيَ 159هـ، انظر ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 11: 450 وما يليها.

[يونس بن يزيد بن أبي النجاد، الإمام، الثقة، المُحدِّث، زُعم أنه تُوفِّيَ بصعيد مصر، واختُلف في تاريخ وفاته، فقيل: سنة اثنتين وخمسين ومائة. وقيل: تُوفِّيَ سنة بضع وخمسين. وقيل: مات سنة تسع وخمسين. وقيل: مات سنة ستين ومائة. **سير أعلام النبلاء**، 6: 297-300. المترجم].

(3) ولد بين سنتي 50 و58هـ/670-677م، وتُوفِّيَ سنة 124هـ/742م، انظر بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، 1: 64.

[مُحمَّد بن مُسلم بن عبد الله (58-124هـ/678-742م)، أول من دوَّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة. **الأعلام**، 7: 97. المترجم].

(4) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 1: 1154-1155 (راجع الصفحة 50) و1157-1158 (راجع الصفحة 44-45).

مُستقلّة، ولم يُقتطعْ من نصِّه شيءٌ، أو يُغيَّر، بل أُضيفت إليه أسطورةُ المعراج.

جاءت روايةٌ أخرى لأسطورةِ شقِّ الصدر للمعراج في حديثٍ صحيح آخرَ، هو في «كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماواتِ، وفرضِ الصلوات» من «صحيح مُسلم»، وهو حديثُ أسطورةِ المعراج الرابعِ عند مُسلم، وفي «صحيح البخاري» وفي «جامع البيان في تفسير القرآن» للطبري[1]، تلفتُ هذه الروايةُ الانتباهَ، من حيثُ إنَّها جاءت في حديثِ الربيع بن سليمان[2]، عن ابن وهب[3] عن سليمان بن بلال[4] عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر[5]

---

(1) صحيح البخاري، 4: 485، وكذلك الطبري، تفسير الطبري، 15: 3-4.

(2) تُوفِّيَ 256هـ، انظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، 3: 256.
[الربيع بن سليمان الأزدي، مُحدِّث، مات: سنة ست وخمسين ومائتين. سير أعلام النبلاء، 12: 591-592. المترجم].

(3) ولد سنة 125هـ، وتُوفِّيَ سنة 197هـ، أو سنة 199هـ، تلميذ مالك بن أنس، صنَّف موطأ الإمام مالك، ووضع كتاب الجامع في الحديث، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 1: 156، 163، وملحق 1: 257، 948.
[عبد الله بن وهب بن مُسلم (125-197هـ/743-813م)، فقيه من الأئمة، من أصحاب الإمام مالك، مولده ووفاته بمصر. الأعلام، 4: 144. المترجم].

(4) تُوفِّيَ سنة 172هـ أو 176هـ أو 177هـ، انظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، 4: 175 وما يليها، وانظر كذلك الذهبي، تذكرة الحفاظ، 1: 215-216.
[سليمان بن بلال القرشي، الإمام، المفتي، الحافظ، مولده: في حدود سنة مائة، قيل: تُوفِّيَ بالمدينة، سنة اثنتين وسبعين ومائة، وقيل: إنه تُوفِّيَ سنة سبع وسبعين. سير أعلام النبلاء، 7: 425-427. المترجم].

(5) تُوفِّيَ نحو 144هـ، انظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، 4: 337-338.
[شريك بن عبد الله بن أبي نمر، مُحدِّث ليس بالقوي، مات: قبل الأربعين ومائة. سير أعلام النبلاء، 6: 159-160. المترجم].

الذي سمعَ أنساً يتحدَّثُ عن «الإسراء»[1]، إذن لدينا حديثٌ فيه بنيةٌ مُكتسَبةٌ من النصفِ الأخير من القرنِ الثاني للهجرة، في كتابِ الجامع لعبد الله بن وهب الذي كُتِبَ قبلَ سنة مائتين للهجرة، حيثُ يُفهم من إسنادِ الحديث أنَّ متنَه مُستمدٌّ من الكتاب، (لاحظ «أخبرنا ابن وهب» عن ...)، فقد نقلَ ابنُ وهب الحديثَ نفسه عن سليمانِ بن بلال في هذا الكتابِ، وعنه إلى أنس.

تكاملَ النصُّ الآن من خلالِ نقولٍ مُختلفة مُتعدِّدة، فهو يخبرنا أنَّ ثلاثةَ رجالٍ أتوا إلى مُحمَّدٍ قبل أنَّ يُوحى إليه، وهو نائمٌ في المسجدِ الحرام، وسأل أوَّلُهم: «أيُّهم هو؟»، فكان الجوابُ: «أوسطُهم هو خيرُهم»، قال أحدُهم: «خذوا خيرَهم»، ولكنْ لم يحدثْ شيءٌ بعدئذٍ حتَّى ليلةٍ أخرى، عندها عاد الرجالُ الثلاثةُ

(1) [حدَّثنا الربيع بن سليمان، قال: أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنساً، يحدِّثنا عن ليلة المسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ قال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتَّى جاؤوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي ﷺ تنام عيناه، ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلِّموه حتَّى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرائيل عليه السلام، فشقّ ما بين نحره إلى لبّته، حتَّى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم حتَّى أنقى جوفه، ثمَّ أتي بطست من ذهب فيه تور محشو إيماناً وحكمة، فحشا به جوفه وصدره ولغاديده، ثمَّ أطبقه ثمَّ ركب البراق، فسار حتَّى أتى به إلى بيت المقدس فصلّى فيه بالنبيين والمرسلين إماماً، ثمَّ عرج به إلى السماء الدنيا، ... **جامع البيان في تأويل القرآن**، 14: 416. والحديث في **صحيح مُسلم**، 1: 148. وفي **صحيح البخاري**، 3: 308. المترجم].

لحظةَ كان النَّبيُّ نائماً بعينيه، ليس بقلبِه، ودون أنَّ يتحدَّثوا معه، وضعوه بالقربِ من زمزم، وهناك شقَّ جبريلُ صدرَه، وغسلَه من الداخلِ بماءِ زمزم، حتَّى يتطهَّر، وجلبَ طستاً من ذهبٍ فيه نارٌ، مُمتلئاً إيماناً وحكمةً، وأخيراً أُعيدَ جسُده كما كان، ثمَّ وُضِع على البراقِ، فجاء به إلى بيتِ المقدس، ثمَّ كان المعراجُ.

الأسطورةُ في هذا الحديثِ أسطورةُ بعثةٍ، وهي روايةٌ أخرى لرواية «تاريخ الطبري» الثانية[1]، ولكنَّ عبارةَ: **«قبل أنْ يُوحى إليه»** سبَّبت إشكالاً، فسَّره شريكه[2]: «... حيثُ قيلَ صراحةً: إنَّه عرَج إلى السماءِ قبل أنَّ يُوحى إليه»، ومن ثَمَّ يكون هذا التفسيرُ معقولاً فقط، حينما «يُوحى إليه» في السماء، بعد عروجِهِ إليها.

لا بدَّ من أنَّ تكونَ عبارةُ: «قبل أنَّ يُوحى إليه» قد فُهمت هكذا آنـذاك، فلقد جاء ذكـرُ الوحيِ في المعراجِ (الإسـراء) في الآيةِ العاشرة مِن سورة النجم: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾[3]، لذا طُهِّر القلبُ حتماً قبل ذلك الوحي، فهل يحتملُ هذا أنَّ يكونَ مُستحدثاً؟.

1 - إنَّ تاريخَ أسطورة تمهيد المعراج زائدٌ وغير ضروري، فلماذا يجبُ أنْ يشعرَ سليمانُ بن بلال، أو شريكُ بن عبد الله بن أبي نمر بأنَّهما مُجبرانِ على بيانِ أنَّ أسطورةَ شقِّ الصدر التمهيدية

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 1157-1158.
(2) شريكه، معراج مُحمَّد في مجلة الإسلام، 6، 1915، الصفحة 5-6.
(3) «فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ، وَفَهَّمَهُ وَعَلَّمَهُ»، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 1159، السطر الثاني.
[تاريخ الطبري 2: 309، المترجم].

تسبق حتماً أسطورة المعراج؟، لم يأخذ أيُّ مُحدِّثٍ هذا الأمرَ بعينِ الاعتبار.

2 - إنَّ ألفاظَ الحديث عند ابن سعد[1] واضحةٌ، وقد أشارت إلى مرحلةِ ما قبلَ بعثة النَّبيِّ؛ كونَ الحديثِ وردَ تحتَ عنوان: ذكرُ «علامات» النُّبوَّةِ في رسولِ الله ﷺ قبل أنْ يُوحى إليه[2]، إذ أشارت هذه «العلاماتُ» تحديداً إلى تطهيرِ القلب، وهي تؤكِّدُ على أنَّ هذا التطهيرَ حدَث قبلَ البعثة بناءً على ذلك، ومن ثَمَّ، فمن غيرِ الممكنِ أنْ تنطبقَ عبارةُ: «قبل أن يُوحى إليه» على الوحي في السماء.

3 - يُثبتُ تشابهُ روايةِ هذا الحديث مع روايةِ حديث: «حينُ نبُئ النَّبيُّ» في «تاريخ الطبري»[3] أنَّ العبارةَ أشارت إلى تاريخٍ خاصٍ بالبعثة.

4 - يشيرُ استخدامُ صيغةِ الفعل المبني للمجهول: «يُوحى» إلى تعذُّرِ الوحي اللاحق في السماء، فلا بدَّ من أن يعني الفعلُ: «قبل أن يكون لديه أيُّ وحي»، وليس: «قبل أن يكونَ لديه الوحيُ اللاحق».

قيل، مرةً بعد أُخرى في روايةِ الأسطورة نفسِها: إنَّ بعثةَ النَّبيِّ كانت حقيقةً سابقة، وقد حدثت قبلَ عُروجِهِ، حيثُ سُئلَ في كلِّ

---

(1) طبقات ابن سعد، 1: 96.

(2) راجع الصفحة 36.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 1157. (راجع الصفحة 47-49).

السماوات أثناءَ المعراج: أَوَقد بُعثَ؟، أَوَقد أُرسِلَ؟[1]، وكان شريكه قد بيَّن أنَّ هذه الأسئلةَ هي إشارةٌ إلى أنَّ بعثةَ النَّبيِّ كانت قبل عُروجه: «لن يكونَ لهذا السؤالِ أيُّ معنى على الإطلاق، إن كان مُحمَّد قد بُعثَ نبيّاً منذ فترة طويلة، وإلا، فربَّما يتعيَّنُ علينا توقُّعُ أن يكونَ سكَّانُ السماءِ غافلين جدّاً، لأنَّهم يتوقون إلى رسالةِ مُحمَّد»[2].

لا يمكنُ إذن حدوثُ المعراج قبلَ بعثةِ النَّبيِّ مُطلقاً، ومن الواضح الآن أنَّ المعراجَ نفسَه لا يمثِّلُ بعثةَ النَّبيِّ أو إرسالَه؛ لأنَّ «الإرسالَ» كان قد أُنجِز، وعليه يكونُ التفسيرُ الوحيد المُرجَّح لعبارةِ: «قبل أن يُوحى إليه» هو: أنَّ العبارةَ أشارت أساساً إلى تطهيرِ القلب، وليس إلى المعراج، بمعنى أنَّها بمثابةِ جدلٍ ديني في أنَّ تاريخَ أسطورة شقِّ صدر مُحمَّد، لم يكن قبلَ بعثتِهِ، بل يفترضُ جدلاً أنَّ تاريخَها في أثناءِ البعثة أو بعدَها.

وهكذا تكون عبارةُ «قبل أن يُوحى إليه» زائدةً، ولا توجدُ في

(1) [...، ثمَّ عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ قال: هذا جبرائيل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الأرض حتَّى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبرائيل: هذا أبوك، فسلم عليه، فرد عليه، فقال: مرحباً بك وأهلاً يا بني، فنعم الابن أنت، ثمَّ مضى به إلى السماء الثانية، فاستفتح جبرائيل باباً من أبوابها، فقيل: من هذا؟ فقال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قد أرسل إليه، ... **جامع البيان في تأويل القرآن**، 14: 416. المترجم].

(2) شريكه، معراج مُحمَّد في **مجلة الإسلام**، 6، 1915، الصفحة 5.

رواياتِ الأسطورة الأخرى، وهي تُظهر موقفَ أهل السُّنَّة والجماعة الدينيَّ الكامنَ وراءها، حينما كان شقُّ صدر مُحمَّد مطلوباً قبل بعثتِهِ كما ذكرنا من قبلُ، ولم يتغيَّر حتَّى في الأحاديثِ القديمة، فلا بدَّ من أنَّ يكونَ الكلامُ الصريح في هذا الحديث ناتجاً عن أمورٍ جليلة، وبناءً على ذلك، يمكنُ تخمينُ تاريخِ إضافة العبارة.

يدلُّ تنوُّعُ أسماءِ رواة الأحاديث التي فيها عبارة: «قبل أن يُوحى إليه»، باستثناء سليمان بن بلال، وهم أقدمُ جميعاً منه، على أنَّه مَن أتى بها، وقد تكونُ العبارةُ أقدمَ، إذ تُوفِّيَ سنة 176هـ، أو سنة 177هـ، وليس كثيراً؛ نظراً إلى أنَّ الأحاديثَ الكثيرة الأخرى المنسوبةَ إلى أنس[1] لا تتضمَّنُ هذه العبارةَ، مع ذكرَ مجموعةٍ من الأساطير فيها[2]، لذا بإمكاننا القولُ: إنَّنا نشهدُ تعارضاً واضحاً في قرابة منتصفِ القرن الثاني للهجرة، مع أسطورةِ شقِّ الصدر وتطهير القلب بوصفها أسطورةَ تمهيدٍ للبعثة.

هناك شواهدُ أُخرى لأسطورةِ شقِّ الصدر وتطهير القلب للبعثة أوضحُ في الأحاديث، حيثُ ظهرت تمهيداً لروايةِ مبعث النَّبيِّ المُتَّفقِ عليها في نزولِ الوحي في آياتِ سورة العلق الأولى، يعودُ أصلُ هذا التحويرِ المُلفت للنظر إلى وقتٍ مُبكِّر جداً؛ سعياً للتكيُّفِ مع اتِّجاهِ أهل السُّنَّة والجماعة، لذا نجدُها في مُسند الطيالسي (تُوفِّيَ سنة 203هـ/818م)[3]، ثمَّ في مُسند الحارث

(1) [ولد سنة 10هـ وتُوفِّيَ سنة 93هـ، وقد سبقت ترجمته. المترجم].

(2) [ومنها أسطورة الإسراء والمعراج. المترجم].

(3) انظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ملحق 1: 257.

(تُوفِّيَ سنة 243هـ/895م)[1]، ورواها كذلك أبو نعيم (تُوفِّيَ سنة 430هـ/1038م)[2]، ممَّا يدلُّ على أنَّ الاتِّجاهَ باعتبارها أسطورةَ بعثةٍ لم يكن منسيّاً بالمرَّة، وإن لم يكن مُتَّفقاً عليه، وقد أشارَ الآلوسي في تفسيره إلى رواياتِ هؤلاء المُحدِّثين[3].

الحديثُ المقصودُ في «مُسند الطيالسي»[4]، عن حمَّاد بن سلَمة[5] قال: أخبرني أبو عمران الجوني[6] (عبد الملك بن حبيب

---

(1) انظر بروكلمان، المصدر نفسه، ملحق 1: 258.
[الحارث بن مُحمَّد التميمي (186-282هـ/802-896م)، من حُفاظ الحديث. **الأعلام**، 2: 157. المترجم].

(2) انظر بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، 1: 445-446.
[أحمد بن عبد الله بن أحمد (336-430هـ/948-1038م)، حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية. ولد ومات في أصبهان. **الأعلام**، 1: 157. المترجم].

(3) الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، 30: 167.
[ثم إنه على الروايتين ليس نصاً على نفي وقوع شق قبله؛ لجواز أن يكون الذي استشعر منه النبوة هو هذا، لا ما قبله، ووقع له عليه الصلاة والسلام أيضاً عند مجيء جبريل عليه السلام بالوحي في غار حراء، وممن روى ذلك الطيالسي والحارث في مسنديهما، وكذا أبو نعيم، ولفظه أنَّ جبريل وميكائيل عليهما السلام شقّا صدره وغسلاه ثمَّ قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: 1] الآيات، ووقع أيضاً مرة أخرى، تواترات بها الروايات خلافاً لمن أنكرها ليلة الإسراء به ﷺ. **تفسير الآلوسي**، 15: 389. المترجم].

(4) الحديث رقم 1539 (**مُسند الطيالسي**، الصفحة 215-216).

(5) [حماد بن سلمة بن دينار (تُوفِّيَ سنة 167هـ/784م) مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث. **الأعلام**، 2: 272. المترجم].

(6) عالم من العلماء، تُوفِّيَ بين سنتي 123 و129هـ، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 6: 389، حيثُ الرأي بأنَّ إسناده عن عائشة غير دقيق، ولكن إسناد حماد - أبي عمران سليم.

الأزدي) الكندي عن «رجلٍ» عن عائشةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ اعتكفَ هو وخديجةُ شهراً، فوافق ذلك رمضانَ، فخرج رسولُ الله ﷺ وسمع: السلامُ عليكم، قالت: فظننت أنه فجَأه الجنُّ، فقال: أبشرْ، فإنَّ السلامَ خير. ثمَّ رأى يوماً آخر جبريلَ عليه السلام على الشمس؛ جناحٌ له بالمشرق، وجناحٌ له بالمغرب، فهبتُ منه، قالت: فانطلقَ يريد أهلَه، فإذا هو بجبريل عليه السلام بينه وبين الباب، قال: فكلَّمني حتَّى أنستُ به، ثمَّ وعدني موعداً. قال: فجئتُ لموعده، واحتُبِس عليَّ جبريلُ، فلما أراد أن يرجعَ، إذا هو به وبميكائيل عليه السلام، فهبطَ جبريلُ إلى الأرض، وبقيَ ميكائيلُ بين السماءِ والأرض قال: فأخذني جبريلُ، فصلقني لحلاوةِ القفا[1]، وشقَّ عن بطني، فأخرجَ منه ما شاء الله، ثمَّ غسلَه في طستٍ من ذهبٍ، ثمَّ أعاده فيه، ثمَّ كفآني كما يُكفأ الإناءُ، ثمَّ ختَم في ظهري، حتَّى وجدتُ مسَّ الخاتم، ثمَّ قال لي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، ولم أقرأ كتاباً قط، فأخذَ بحلقي حتَّى أجهشتُ بالبكاء، ثمَّ قال لي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2]، قال: فما

[عبد الملك بن حبيب البصري، الإمام، الثقة، قيل: تُوفِّيَ في سنة ثلاث وعشرين ومائة، وقيل: تُوفِّيَ سنة ثمان وعشرين. سير أعلام النبلاء، 5: 255-256. المترجم].

(1) [وفي حديث المبعث «فسلقني لحلاوة القفا» أي أضجعني على وسط القفا لم يمل بي إلى أحد الجانبين. ومنه حديث موسى والخضر عليهما السلام «وهو نائم على حلاوة قفاه». النهاية في غريب الحديث والأثر، 1: 436. المترجم].

(2) سورة العلق، الآيات 1 - 5.

نسيتُ شيئاً بعدُ، قال: ثمَّ وزنني برجلٍ فوزنتُه، ثمَّ وزنني بآخر فوزنتُه، ثمَّ وزنني بمائةٍ، ... الحديث[1].

يرسلُ هذا الحديثُ النظرَ بعيداً، حيثُ تتشكَّلُ أسطورةُ شقِّ الصدر نفسُها من بضعٍ وعشرين كلمةً، بما في ذلك ختمُ النُبوَّة، فلا بدَّ من أنَّ أسطورةَ بعثةٍ أكثرَ تفصيلاً واستقلاليةً كانت هي الأساسُ، إذ لم تغفل رواياتٌ لاحقة أنَّ أسطورةَ شقِّ الصدر كانت مُقترنةً بـ «نزول الوحي»، وكان شقُّ الصدر في السيرة الحلبيةِ مثلاً أحدَ الشقوقِ الأربعة، أو الخمسة المُتَّفق عليها كما رأينا[2]، فمن البديهي أن تظهرَ الأسطورةُ، في هذا الحديثِ، في شكلٍ موجزٍ مُعدَّل؛ لتُناسبَ أسطورةَ البعثة، ونزولِ الوحي المُتَّفق عليها.

إنَّ روايةَ الأسطورةِ في مُسند الطيالسي هي الأقدمُ بعد روايتي ابن إسحاق، وهما أقدمُ منها بأكثرَ من خمسين عاماً تقريباً، وإذا ما قارنَّا الروايةَ بروايات ابن هشام فإنَّها أقدمُ كذلك من وجهةِ نظرٍ علميَّة بحتة، إلا أنَّ الأوساطَ التي كانت وراءَ روايتي ابن إسحاق، وروايات الواقدي وابن سعد، لم تأخذْ بها، ولم تعتمدْها كتبُ الحديث الصحيح.

وبغضِّ النظرِ عن ذلك، فإنَّ إسنادَ الحديث يقودُنا إلى الوراء،

---

(1) نقل السيوطي نصاً مختلف بعض الشيء. الدر المنثور، الصفحة 216، الهامش الأول.
[الحديث في كلٍ من: مسند أبي داود الطيالسي، 3: 125-127. وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، 2: 867. ودلائل النبوة، 1: 215-216. والدر المنثور في تفسير المأثور، 8: 563. المترجم].

(2) راجع الصفحة 54-55.

إلى أبي عمران (تُوفِّيَ بين سنتي 123 و129هـ)، وإسنادُه ضعيفٌ، عندما ينقلُ عن عائشة[1]، ممَّا أدَّى إلى تركِ حديثه، ربَّما نقلَ أبو عمران دمجَ أسطورةِ شقِّ الصدر بأسطورة البعثة ونزول الوحي، كما جاء في هذا الحديث، وفيه أسطورةُ شقِّ الصدر للبعثة، ولم تُعتمَد الأسطورتانِ قبلَ عام مائة وعشرين للهجرة في صيغتيهما المنفصلتين، فيثبتُ هذا الحديثُ القديم، بشكلٍ مؤكَّد، أنَّ دمجَ الأسطورتين قد حدَث في مرحلةٍ مُبكِّرة، قبلَ عام مائتين للهجرة على أقلِّ تقدير؛ بالنظرِ إلى تاريخِ وفاة أبي عمران.

تكشفُ رواية مُسند الطيالسي أيضاً أمراً مُثيراً للاهتمام، وذلك من خلال ارتباطِها بإسنادِ رواية شقِّ الصدر في طفولة مُحمَّد، حيثُ حدَّثَ الطيالسي في مُسنده عن حماد بن سلمة (تُوفِّيَ سنة 167هـ)[2] الذي ذكَره ابن سعد، ومُسلم في روايةِ أسطورة شقِّ الصدر في سنِّ الطفولة أيضاً، ممَّا يدلُّ على أنَّ الروايتينِ كانتا موجودتين جنباً إلى جنبٍ، في منتصفِ القرن الثاني للهجرة[3]، وقد رأى ابنُ سعد ومُسلم أنَّ الأسطورةَ مثَّلت تطهيرينِ للقلب مُختلفين، أو رأيين مُختلفين حوله، وبناءً عليه يتأكَّدُ الرأيُ القائل بأنَّ ابنَ إسحاق ـ ابن هشام، والواقدي ـ ابن سعد عرفوا روايةَ الطيالسي الأقدمَ.

يبدو أنَّ تاريخَ دمج أسطورتي شقُّ الصدر، ونزولِ الوحي في

(1) [سند الحديث ضعيف لأنَّ فيه مجهولاً: «رجل». المترجم].
(2) انظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، 3: 11-12.
(3) انظر الصفحة 85-86.

الآيات الأولى مِن سورة العلق، قد اعتُمِد من خلالِ روايةٍ مُختلفةٍ منذُ بدايةِ القرن الثاني للهجرة، فقد كانت أسطورةُ شقِّ الصدر في رؤيا لمُحمَّد، قبل أن تُدوَّنَ أسطورةُ البعثة ونزول الوحي بصورتِها المعروفة، وقد وردَت روايةُ دمجِ الأسطورتين في كتاب «عيون الأثر»[1] لابنِ سيد الناس (تُوفِّيَ سنة 1334م)[2]، عن عبد الله بن أبي بكر (تُوفِّيَ سنة 135هـ، أو سنة 136هـ)[3]، ولا أرى تركَ

(1) [روينا عن أبي بشر الدولابي قال: حدَّثني مُحمَّد بن حميد أبو قرة، حدَّثنا سعيد بن عيسى بن تليد قال: حدَّثني المفضل بن فضلة عن أبي الطاهر عبد الملك بن مُحمَّد بن أبي بكر بن مُحمَّد بن عمرو بن حزم عن عمه عبد الله بن أبي بكر بن مُحمَّد بن عمرو بن حزم أنه كان من بدء أمر رسول الله ﷺ أنه رأى في المنام رؤيا، فشق ذلك عليه، فذكر ذلك لصاحبته خديجة بنت خويلد فقالت له: أبشر فإنَّ الله لا يصنع بك إلا خيراً، فذكر لها أنه رأى أنَّ بطنه أُخرج فطُهِّر وغُسل ثمَّ أُعيد كما كان، قالت: هذا خير فأبشر، ثمَّ استعلن به جبريل فأجلسه على ما شاء الله أن يجلسه عليه، وبشره برسالة ربه حتَّى اطمأن ثمَّ قال: اقرأ؟ قال: كيف أقرأ؟ قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: 1-4]. فقبل رسول الله ﷺ رسالة ربّه، واتبع الذي جاء به جبريل من عند الله، وانصرف إلى أهله، فلما دخل على خديجة قال: أرأيتك الذي كنت أحدثك ورأيته في المنام، فإنه جبريل استعلن، فأخبرها بالذي جاءه من الله عز جل وسمع فقالت: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، فاقبل الذي أتاك الله، وأبشر فإنك رسول الله حقاً. **عيون الأثر**، 1: 100-101. المترجم].

(2) انظر بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، 2: 85.
[محمد بن مُحمَّد بن مُحمَّد. ابن سيد الناس (671-734هـ/1273-1334م) مؤرخ، محدِّث أديب. وُلد ومات بالقاهرة. **الأعلام**، 7: 34. المترجم].

(3) [عبد الله بن أبي بكر بن مُحمَّد (تُوفِّيَ سنة 130 أو 135هـ)، الإمام، الحافظ. تابعي ومُحدِّث ثقة. **سير أعلام النبلاء**، 5: 314-315. **تهذيب التهذيب**، 5: 164-165 المترجم].

الحديث بسببِ تمثيلِهِ وجهةَ نظرٍ قديمةً، رفضَها جمهورُ العلماء، ولم توافقْ محتوياتُه «الإجماع». لم يكن الكتابُ مُتاحاً لي[1]، لذا اضطررتُ إلى الاعتمادِ على شبرنغر[2].

هناك حديثٌ آخرُ، قديمٌ غريبٌ لم يبحثْه أحدٌ من قبلُ، أو بالأحرى لم يُفسَّر كما ينبغي، ورد في «كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات»، وهو حديث أسطورة المعراج الثاني في صحيح مُسلم، نقلاً عن سليمان بن المغيرة[3]، عن ثابت البُناني[4]، وعادةً ما يكونُ أنسُ بن مالك أقدمَ راوٍ للحديث، والحديثُ هو: «أُتيتُ فانطلقوا بي إلى زمزم، فشُرِحَ عن صدري، ثمَّ غُسِل بماءِ زمزم، ثمَّ أُنزلتُ»[5]. توصيف شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب هنا مُقتضَبٌ، وهو تمهيدٌ لما ترمز الكلمةُ الأخيرة: «أُنزلتُ» إليه، حيثُ تعني كلمةُ «أُتيتُ»: «جاءني

---

(1) طُبع الكتاب سنة 1356هـ، في القاهرة في مجلدين، حسب بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**.

(2) شبرنغر، **حياة مُحمَّد**، 1: 167-168.

(3) تُوفِّيَ سنة 165هـ، انظر ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 4: 220-221.
[سليمان بن المغيرة القيسي، الإمام، الحافظ، مُحدِّث ثقة، تابعي سكن البصرة، قيل مات سنة خمس وستين ومائة. **سير أعلام النبلاء**، 7: 415-419. المترجم].

(4) تُوفِّيَ سنة 123هـ، أو سنة 127هـ، انظر ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 2: 2 وما يليها.
[ثابت بن أسلم البُناني، الإمام، تابعي ومُحدِّث ثقة سكن البصرة، اختُلف في وفاته، فقيل سنة ثلاث وعشرين ومائة، وقيل مات ثابت سنة سبع وعشرين ومائة. **سير أعلام النبلاء**، 5: 220-223. المترجم].

(5) [**صحيح مُسلم**، 1: 147، المترجم].

أحدُهم»، ثمَّ: «ثمَّ ذهبوا معي إلى زمزم، ثمَّ شُقَّ صدري (فعلٌ مبنيٌ للمجهول)، ثمَّ غُسلَ (فعلٌ مبنيٌ للمجهول) بماء زمزم، وبعدَ ذلك نزلَ الوحيُ عليَّ»، حيثُ نلاحظُ أنَّ بناءَ الأفعال للمجهولِ هو نمطٌ خاصٌ برواياتٍ أخرى، مثلِ الرواية الحالية[1].

أثارت كلمةُ: «أُنزلتُ» إشكالاتٍ جليلةً لعلماء المُسلمين، لا سيَّما في شرحِ النووي لصحيح مسلم[2]، وفيه معنى الكلمةِ مُبهمٌ، اختلفَ فيه أهلُ العلم، وهناك من رأى أنَّ الكلمةَ خطأٌ ناسخ لكلمةِ: «تُركتُ»، أو أنَّ لها المعنى نفسَه، وذهب رأيٌ إلى أنَّ النَّبيَّ أُنزلَ من زمزم إلى المكانِ الذي كان فيه من قبلُ، وأن حوضاً من ذهبٍ مليئاً حكمةً وإيماناً «أُنزل على» النَّبيِّ، واقتُرحت قراءةُ كلمة «أُنزلتُ» بـ «أَنزَلَت» بدلاً عنها في هذه الحالةِ، وأنَّ هذه الروايةَ في صحيحِ مُسلم ناقصةٌ، وقدَّم الحكمُ النهائيُّ: «والله أعلم». أوفرَ تعبيرٍ مُقنعٍ عن موقفِ علماء المسلمين.

لا يمكنُ أن تُشيرَ كلمةُ «أُنزلتُ» إلى أنَّ النَّبي قد أُوحيَ إليه، وهو في السماءِ، فقد استُخدِمَ جذرُ الفعل «أَوحى» للتعبيرِ عن نزولِ الوحي[3]، ومن ثَمَّ يشيرُ جذرُ الفعل: «نزَل» بالنسبةِ إلى النَّبيِّ في سياقِ هذا الحديثِ، إلى أمرٍ واحد فقط، وهو: «وحيُ الكلمات»، على الرُّغمِ من أنَّ استخدامَ الفعل: «أُنزلتُ» بصيغةِ

---

(1) سوف نتناولها بالبحث في الفصل الثالث.

(2) نجدها أيضاً عند القسطلاني، إرشاد الساري، 2: 61 في الهامش.
[المنهاج شرح صحيح مُسلم بن الحجاج، 2: 216. المترجم].

(3) [استُخدمت في عبارة: «قبل أن يوحى إليه» على سبيل المثال. المترجم].

المبنيِ للمجهول مثَّل غموضاً مُتعمَّداً، فمن الظاهرِ أنَّ مُسلماً اقتبسَ روايةً لم يفهمها، أو لربَّما تعمَّدَ ذلك على الأصحِّ، (أي حملَ الحديثِ على غيرِ محملهِ عن قصدٍ)، وبناءً على ذلك، فلا يُمكنُ أن تشيرَ كلمةُ «أُنزلتُ» إلى «الوحيِ» المنسوبِ إلى المعراجِ، لا بدَّ من أنَّها تشيرُ إلى وحي كلماتٍ مُنزَّلةٍ من اللوحِ المحفوظ[1].

تُستخدَمُ كلمةُ «أنزل» خلافاً لذلك مع كلمةِ الله، أو الربِّ في صيغةِ الفاعل كما هو معروفٌ، وكلمةُ «الوحيِ» في صيغةِ المفعول به، وتأتي كلمةُ «الله» أولاً قبلَ كلمةِ النَّبيِّ، وتستلزمُ صيغةُ الفعلِ المبني للمجهول «أُنزل» هنا أن تكونَ كلمةُ النَّبي مفعولاً به في المعنى[2]، لكنْ غالباً ما يُحذَفُ المفعولُ به المجرورُ، ويُستبدَلُ بمفعولٍ به موصولاً بالفعلِ في اللغة العربية[3]، فيعني استخدامُ كلمةِ «أَنزله» مع كلمةِ الله في صيغةِ

---

(1) انظر فنسنك، **معجم المصطلحات الإسلامية**، فقرة وحي، الصفحة 785.
[أرند جان فنسنك (1882-1939)، مُستشرق هولندي. كان أستاذ اللغة العربية في جامعة لايدن. **الأعلام**، 1: 289. المترجم].

(2) [مثل: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾، التوبة: 40. المترجم].

(3) انظر تفسير البيضاوي لسورة المطففين مثلًا، **تفسير البيضاوي**، تحقيق هاينريخ لبرخت فلايشر، 2: 391، وعبارة: «جنيتك أكمؤاً» بدلاً من: «جنيت لك»، لين، **مد القاموس** 1: 472، عمود أ.

[وإذا كالوهم أو وزنوهم، أي إذا كالوا الناس أو وزنوا لهم يخسرون، فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله: ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا، بمعنى جنيت لك. **تفسير البيضاوي**، 5: 294. وهاينريخ لبرخت فلايشر (1801-1888)، مُستشرق ألماني. درس اللغات الشرقية، وإدوارد وليم لين (1801-1876)، من كبار المستشرقين الإنكليز، أتقن اللغة العربية. **الأعلام**، 8: 69، 284. المترجم].

الفاعل: «أَنزَل إليه»، ويعني استخدامُ صيغةِ الفعلِ «أُنزِل» المبنيِّ للمجهول: «أُنزل عليه»، فضلاً عن أنَّ الفعلَ «أَنزل» يُستعمَلُ لازماً، كما أنه يعني «هبط» أيضاً[1]، ففي هذه الحالةِ تعني كلمةُ «أنزله»: «هبَط إليه» تماماً مثلَ كلمةِ «أَتاه» بمعنى «جاء إليه»، ويعني الفعلُ «أُنزل»: «أُهبط إليه شيءٌ»، وتجدر الإشارةُ إلى أنَّ كلمةَ «أُنزلتُ» هي على غرارِ كلمةِ «أُتيتُ» في هذا الحديثِ، حيثُ أشارت كلتا الكلمتينِ إلى النَّبي باعتباره غايةَ الدلالةِ اللفظية: غايةَ المجيء وغايةَ الوحي.

لا تدلُّ كلمةُ «أَنزل» على الوحي في المعراجِ، عندَما تفيدُ معنى هبوطٍ على وجهِ الدِّقةِ، ويرشدُنا سياقُ «باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماواتِ، وفرضِ الصلوات» في صحيحِ مُسلمٍ إلى فهمٍ آخرَ للكلمةِ الفصل، فلا شكَّ في أنَّ مُسلماً نقل حديثاً ظهَر فيه تطهيرُ قلب النَّبي تمهيداً لبعثته، ممَّا سلَّط الضوءَ على مرحلةٍ قديمة، مرَّت بها الأسطورةُ زمنَ الطيالسي.

ما يمكننا استنتاجُه من ورودِ هذا الحديث في صحيحِ مسلمٍ ليس أكثرَ من كونِ التصوُّر الذي نحن بصدَدِهِ كان بقاياً لروايةٍ أسطورةٍ بعثةٍ مرفوضةٍ آنذاك؛ لأنَّ معنى جزءِ الحديثِ الأخيرِ الجوهريِّ كامنٌ في الكلمةِ المُبهمةِ: «أُنزلتُ» كما رأينا.

ومن المؤكَّد أنَّه قد مُنع دمجُ الأسطورتينِ منذُ زمنِ جمعِ كتب

---

(1) لين، مد القاموس، ملحق، الصفحة 3031، عمود ج.
[الفعل اللازم من أنزل في قولهم: أنزَل الرجلُ إذا خرج منه المني. **تصحيح الفصيح وشرحه**، 162. المترجم].

الحديث الصحيح وتوثيقِها[1]: أسطورةِ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب، وأسطورةِ نزولِ وحي بعض آيات القرآن، لذا تُرك حديثُ الطيالسي.

نخلصُ من ذلك إلى أنَّ أسطورةَ شقِّ صدر مُحمَّد كانت في بدايتها أسطورةُ تنقيبٍ وبحثٍ، وتطهيرٍ للقلب في طفولته، ثمَّ صارت أسطورةَ بعثةٍ بعد ذلك، حيثُ لم يُحافظْ على نمطِها الأخير، ودلالتِها الأصلية في الرواياتِ المنقولة إلينا، فلقد وُضعت قبلَ البعثةِ أحياناً، أو أُدمجَت مع المعراج في أحيانٍ أُخرى، ولكنْ بالإمكانِ العثورُ على الأسطورةِ الأصلية باعتبارها أسطورةَ بعثةٍ مُستقلَّةً بذاتها في كلتا الحالتينِ، في وقتٍ مبكِّرٍ حوالي سنةِ مائة للهجرة على أقلِّ تقديرٍ، وإلا، فمن غير المُمكنِ تفسيرُ تعابيرِها، وسياقاتِها المختلفة، وفهمِها في المصادرِ والرواياتِ الحالية، هذا كما ذهبَ بيفان وشريكه وهورفتس، حيثُ قالوا: لا يوجدُ في الرواياتِ ما يدلُّ على أنَّ أسطورة شقِّ الصدر كانت تمهيداً للمعراج في الأصل، ثمَّ انتقلت إلى أشكالٍ أخرى.

يجبُ تعقُّبُ نصوصِ أسطورة شقِّ الصدر الحالية، وكشفُ دمجِها بأسطورةِ البعثة عند أهلِ السُّنَّة والجماعة، ثمَّ دمجها بأسطورة المعراج، واقتفاءُ أثرها إلى سنةِ مائة للهجرة تقريباً، أو بعدَها قليلاً، ممَّا يعني الرجوعُ بالزمنِ إلى الوراء بقدرِ ما يُمكنُ؛ للبحث في رواياتِ الحديث المحفوظة، فلا شيءَ يمكنُ أن يقالَ

---

(1) [في سنة مائة وثلاث وأربعين، قال الذهبي: شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير. تاريخ الإسلام للذهبي، 9: 13. المترجم].

على وجهِ اليقين عن شكلٍ، أو محتوياتِ تلك الأحاديثِ قبل هذا الزمن.

ظهرَت أسطورةُ شقِّ الصدر لتطهيرِ القلبِ من أجلِ البعثة، في النصفِ الأوَّلِ من القرنِ الثاني للهجرة، وشهدْنا معارضةَ أهلِ السُّنَّة والجماعة لها؛ لأنَّ شقَّ صدر مُحمَّد كان مطلوباً قبلَ بعثتهِ عندهم.

الأسطورةُ في كتبِ الحديث الصحيح

بما أنَّ كتبَ الحديث الصحيح تمثِّل أقدمَ رواياتِ دمجِ أسطورة شقِّ الصدر وتطهير القلب بأسطورةِ المعراج، فإنَّ الهدفَ هو تحليلُ إشكالياتِ الأسطورة، وبيانُ: لماذا دُمجت بالمعراج؟. والإجابةُ تأتي أيضاً ممَّا قدَّمناه سابقاً من حججٍ.

إنَّ رأيَ شريكه القائلَ: «بُعث» مُحمَّد أثناءَ المعراج إلى السماء، له ما يبرره، حيثُ ظهَرت أسطورةُ شقِّ الصدر وتطهير القلب في حديثِ أسطورةِ المعراج الرابعِ عند مُسلم[1]، مُتعلِّقةً

(1) [حدثنا الربيع بن سليمان، قال: أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنساً، يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أنَّ يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ قال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتَّى جاؤوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي ﷺ تنام عيناه، ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتَّى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرائيل عليه السلام، فشق ما بين نحره إلى لبته، حتَّى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم حتَّى أنقى جوفه، ثمَّ أتي بطست من ذهب فيه تور محشو إيماناً وحكمة، فحشا به جوفه وصدره ولغاديده، ثمَّ أطبقه ثمَّ ركب البراق، فسار حتَّى أتى به إلى بيت المقدس فصلى فيه بالنبيين والمرسلين إماماً، ثمَّ عرج به إلى السماء الدنيا، ... **صحيح مُسلم**، 1: 148. المترجم].

بالبعثة[1]، فنستنتجُ أنَّها كانت أسطورةَ بعثةٍ عند رواةِ أسطورة المعراج في وقت إنشاء أحاديثه، بعد سنة مائة للهجرة تقريباً، ولا يمكن أنَّ يكونوا هم أنفسُهم رواتُها؛ لأنَّ هذه الأحاديثَ رفضت الأسطورةَ بدلالتها على البعثة ، مُستندةً في رفضها إلى مصادرَ قديمةٍ، منذُ سنة مائة للهجرة على الأقلِّ، أي الرواةِ الذين نقلَ عنهم ابنُ إسحاق والواقدي-ابن سعد، ورواةٍ آخرين لم يرووا الأسطورةَ على أنَّها مستقلَّةٌ للبعثة.

لم يكن تفسيرُ أسطورةِ شقِّ الصدر بأنَّها أسطورةُ بعثةٍ أمراً حتمياً لازماً في ذلك الدمج، حيثُ فُقدَ نمطُ الدمجِ في كثيرٍ من رواياتِ الأحاديث، منذُ أن استحدثَ أهلُ السُّنَّة والجماعة رواياتِ أسطورةِ «علامات» النبوَّة قبلَ البعثة، ممَّا أدى إلى تأثُّر أسطورةِ شقّ الصدر للبعثةِ بهذه الروايات، فحُسِبت أنَّها روايةُ تطهيرٍ للقلب قبلَ المعراج، ومن ثَمَّ أصبحت روايةُ الأسطورةِ المُدمَجةُ مُسلَّماً بها، عن طريقِ إجماع أهل السُّنَّة والجماعة، وذلك بعد اكتمالِ عمليةِ دمجهما، أي بعدَ دمجِ أسطورة شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب بأسطورةِ المعراج؛ لتظهرَ تمهيداً للمعراج حصراً.

لقد شكَّلت دلالةُ الأسطورةِ على أنَّها «علاماتُ» النبوَّةِ عند أهلِ السُّنَّة والجماعة، تصوُّراً مُنافساً لدلالتها على أن تكونَ تمهيداً للبعثةِ التي لم يعتمدوها، بل اعتمدوا الأسطورةَ باعتبارها تمهيداً لنزولِ وحي الآياتِ الأولى من سورةِ العلَق[2]، وبناءً على ذلك

(1) الرأي في الصفحة 62.
(2) راجع الصفحة 63-65 وما يليها.

اعتمدَ جامعو كتبِ الحديث الصحيح على دمجِ أسطورةِ شقِّ الصدر وتطهير القلب بأسطورةِ المعراج في مؤلَّفاتِهم، متأثرين بإجماعِ أهل السُّنَّة والجماعة عليه، فنسبوا الحديثَ إلى النَّبيِّ أيضاً[1]، علماً أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة لم يستحدثوا الدمجَ، مثلما جاءَ في دلالة أسطورة تطهير القلب على أسطورةِ بعثةٍ في رواية الطبري الثانية[2]، (لاحظ عبارة: «شرك أو جاهلية أو ضلالة»)، وعليه يُخطئ شريكه بقولِهِ: إنَّ الدمجَ هو الأصلُ، وإنَّ تأويلَ أسطورةِ شقِّ الصدر وتطهير القلب بأسطورةِ اصطفاء مُحمَّد نبياً، قديمٌ في الإسلام، ثمَّ رُفض ذلك فيما بعد. لكنِّي أرى أنَّ الأسطورة لم تتطوَّر من أسطورة تمهيدٍ للبعثة إلى أسطورة اصطفاءٍ لمُحمَّد في طفولته.

اعتُبرت أسطورةُ شقِّ الصدر وتطهير القلب أسطورةً للبعثةِ عند رواةٍ، ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة، فكانوا وراء تطوُّرِ أسطورة المعراج في هذه الحالةِ؛ لأنَّ أسطورةَ المعراج هذه تأثَّرت تأثُّراً كبيراً برواياتِ مُتعدِّدةٍ، في أديانٍ ومعتقداتِ ثقافاتٍ أُخرى، لديها

---

(1) انظر جوزيف شاخت، **أُصول الفقه المُحمَّدي**، الصفحة 1-5؛ لمسألة تاريخ الإسناد وأشكاله في الحديث الصحيح حيثُ نجد أسانيد روايات الأحاديث القديمة.

(2) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 1: 1157.
[لما كان حين نبئ النَّبي ﷺ، وكان ينام حول الكعبة، وكانت قريش تنام حولها، فأتاه ملَكان: جبرائيل وميكائيل، فقالا: بأيهم أمرنا؟ فقالا: أمرنا بسيدهم، ثمَّ ذهبا ثمَّ جاءا من القبلة، وهم ثلاثة، فألفوه وهو نائم، فقلبوه لظهره، وشقوا بطنه، ثمَّ جاؤوا بماء من ماء زمزم، فغسلوا ما كان في بطنه من شك أو شرك أو جاهلية أو ضلالة. **تاريخ الطبري**، 2: 308. المترجم].

الأسطورةُ نفسُها، حتّى وصلت إلى الدين الإسلامي، فروايةُ معراج النَّبيِّ وارتيادِهِ أماكنَ مختلفةً في عالمِ الملكُوتِ، لها مصادرُ، حدَّدها الباحثون والعلماء منذ مـدَّةٍ طويلة، في الإيديولوجيا المسيحية، وغيرها من المُعتقدات الدينية الشرقية الرؤيوية، مثلَما أوضحَ جيو فيدنغرين في كتابهِ «مُحمَّد، رسول الله، ومعراجه»[1]، العناصرَ المُكوِّنةَ للأسطورة، مُضيفاً إليها وجهاتِ نظرٍ جديدةٍ لفهمها على أنَّها تصوُّرٌ في سياقٍ عامٍّ.

جاء في أسطورةٍ من زمنٍ مبكِّرٍ، من القرن الثاني الهجري، أنَّ مُحمَّداً عرَج إلى ملكوتِ السماءِ، ثَمَّ إلى الجنَّة[2]، وقد دُمجَت هذه الأسطورةُ بعضَ الشيء مع الإسراءِ عند ابنِ إسحاق، إسراءِ مُحمَّد ليلاً إلى أورشليم[3]، ....

(1) فيدنغرين، **مُحمَّد، رسول الله، ومعراجه**، الصفحة 96.
[جيو فيدنغرين (1907-1996) مُستشرق سويدي، وعالم في تاريخ الأديان. المترجم].

(2) انظر **سيرة ابن هشام**، 268. كذلك فيدنغرين، المرجع السابق، صفحة 102-103.
[قال ابن إسحاق: وحدَّثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما فرغت ممَّا كان في بيت المقدس، أتي بالمعراج، ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر، فأصعدني صاحبي فيه، حتَّى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء. **السيرة النبوية**، 1: 403. المترجم]

(3) أوَّل المُسلمون موقع المسجد الأقصى الوارد في الآية الأولى من سورة الإسراء، بأنه في أورشليم، إلا أنَّ ألفرد غيوم أثبت أنَّ موقع المسجد الأقصى هو على بعد خمسة عشر كيلومتراً من مكة، غيوم، **مجلة الأندلس**، 1953، صفحة 323 وما يليها. ويرى معظم العلماء المعاصرين أنَّ اسم =

وانفصلت عنها بعضُ الشيء عند ابنِ سعد[1]، إذ وَضَع تاريخَ أسطورةِ المعراج قبلَ نصفِ عامٍ من الإسراء، وأرَّخ كلٌّ من ابنِ إسحاق، وابنِ سعد هذه الأحداثَ في أثناءِ فترةِ مُحمَّد الأخيرة في

المسجد الأقصى يُشير إلى الجنة، لكننا مهتمون بالأسطورة اللاحقة فقط في البحث الحالي.

[لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ ألفرد غيوم توهَّم في اعتبار المسجد الأقصى هو مسجد الجعرانة. **معجم البلدان**، 2: 142. ربَّما لتشابه الاسمين. وألفرد غيوم (1888-1966م) مُستشرق بريطاني، أستاذ اللغات الشرقية. **المستشرقون**، 2: 543. المترجم].

(1) **طبقات ابن سعد**، 1: 142 وما يليها.

[«ذكر المعراج وفرض الصلوات» أخبرنا مُحمَّد بن عمر عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وغيره من رجاله قالوا: كان رسول الله ﷺ يسأل ربه أن يريه الجنة والنار. فلما كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان **قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً**. ورسول الله ﷺ نائم في بيته ظهراً. أتاه جبريل وميكائيل فقالا: انطلق إلى ما سألت الله. فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم. فأتي بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظراً. فعرجا به إلى السماوات سماء سماء. فلقي فيها الأنبياء. وانتهى إلى سدرة المنتهى. وأري الجنة والنار ... «ذكر ليلة أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس». أخبرنا مُحمَّد بن عمر الأسلمي قال: حدَّثني أسامة بن زيد الليثي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: وحدَّثني موسى بن يعقوب الزمعي عن أبيه عن جده عن أم سلمة. قال موسى: وحدَّثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة. قال مُحمَّد بن عمر: وحدَّثني إسحاق بن حازم عن وهب بن كيسان عن أبي مرة مولى عقيل عن أم هانئ ابنة أبي طالب. وحدَّثني عبد الله بن جعفر عن زكرياء بن عمرو عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس. وغيرهم أيضاً قد حدَّثني. دخل حديث بعضهم في حديث بعض. قالوا: أسري برسول الله ﷺ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأوَّل قبل الهجرة بسنة. **الطبقات الكبرى**، 1: 166. المترجم].

مكَّة. وبناءً على ذلك، فربَّما تطوَّرت الروايةُ المُقتضبةُ، في الأصل، لعروجِ مُحمَّد إلى السماء، حيثُ أُوحيَ إليه وفُرضت الصلواتُ اليوميَّة، إلى أسطورةٍ شاملةٍ في مدَّةٍ وجيزة، كما شرحها فيدنغرين، وبحث مغزاها العقائديَّ، ومنشأها بدقَّةٍ.

وقد رأى كلٌّ من بيفان وشريكه أنَّ دمجَ الأسطورتين، أسطورةِ شقِّ الصدر وتطهير القلب تمهيداً للبعثة، وأسطورةِ المعراج، هو أمرٌ «طبيعيٌّ»، من وجهةِ نظرِ علمِ تاريخ الأديان المقارَن، وأنَّ الدمجَ هو ظاهرةٌ إسلاميَّة خالصة، وأكَّدا أنَّ هذا الأمرَ «الطبيعي» أصيلٌ في الدينِ الإسلامي؛ لمجردِ كونه «طبيعياً»، إلا أنهما لم يبيِّنا أنَّ هذا الأمرَ «الطبيعي» راجعٌ، أمَّا إلى تأثيراتٍ إسلاميَّةٍ إضافية لاحقة، أو إلى تأثيراتٍ دينيةٍ قديمة، رجَّحت ظواهرَ «طبيعية» فقط، أي ظواهرَ ذاتَ صبغةٍ دينيَّة مُطلقة، ولم يكن الأمرُ كما رأيا؛ لأنَّه متناقضٌ مع المصادرِ الواقعية، فدمجُ الأسطورتين هو بتأثيرِ تلك الدياناتِ والمعتقداتِ التي نشأت فيها أسطورةُ المعراج أيضاً[1].

شكَّلت سمةُ أسطورةِ شقِّ الصدر: «مُطلقة» و«طبيعية»، في التصوُّراتِ الدينية الأُخرى، أساسَ الأساطيرِ في إطارِها الإسلاميِّ الأولي، حتَّى تلك الأسطورةِ في طفولةِ مُحمَّد أيضاً؛ لأنَّ رجالَ

(1) من الراجح أنَّ فيدنغرين سيوافق على هذا الاستنتاج، من حيثُ إنه، باختلافه عن معظم العلماء المعاصرين، أدرك أنَّ الأسطورتين لا تنتميان إلى بعضهما البعض أصلاً، ولأنه لم يبحث أسطورة شقِّ الصدر وتطهير القلب في دراسته عن المعراج.

الدين الذين أنشؤوها، كانوا بشراً صاغوا أفكاراً وأقوالاً دينيةً معزوفةً في أماكنَ أخرى، وقد تكونُ عباراتُ تلك الأسطورةِ، وألفاظُها أثناءَ مرحلتها البدائية، متأثرةً بالثقافاتِ الأجنبية، وسواءٌ كانت هذه المسألةُ ذاتَ طابعٍ إنسانيٍّ مطلق، أو مُقتبسٍ، فإنَّ لها أهميةً ضئيلة، والأمرُ المهمُّ هو دمجُ الأسطورةِ في المُتخيَّلِ الديني الذي وضعه مُحمَّد.

قدَّم دمجُ الأسطورتين تفسيرَهما الدقيقَ المطلوب، الأمرُ الذي يستلزمُ الرجوعَ إلى الرواياتِ المُتشابهة؛ لفهم أصل دمجِهما، وليس مضمونَهما في رواياتِ الأحاديث، فقد تسبَّبت موجةُ التأثيراتِ القوِّية بتغييرِ مضمونِ الأسطورتين وتحويرِه؛ بسببِ غموضِه، وذلك بعدَ غزواتِ الدين الإسلامي، وفتوحاتِه الكبرى لعالمِ الشرقِ الأدنى، واحتكاكِه بثقافاتِه الدينية، لا سيَّما التأثيراتُ الدينية «القديمة»، و«الطبيعية المُطلقة»، فكان شريكه وبيفان على حقٍّ في استنتاجِ أنَّ الأسطورتين هما أسطورتا اصطفاءٍ لمُحمَّد من وجهةِ النظَر هذه، وذلك عند ذكرِهما أوجهِ تشابهٍ أجنبية لهما، هكذا إذن اعتُمدت الأسطورتان عندَ رواةٍ، غيرِ بعيدين عن التأثيرات الخارجية، كما هي عند رواةِ أهلِ السُّنَّة والجماعة.

تطلَّبت أسطورةُ المعراج كما نعلم، تمهيداً يتعلَّق بإرسالِ الوحي إلى النَّبي أو بعثتِه، على الرُّغمِ من وجودِ نمطِ اصطفاءِ النُّبوّة فيها، ذلك النمطُ الذي تكرَّسَ من خلال احتكاكِها بالرواياتِ المُتشابهة، فلماذا لم يعتمد أهلُ السُّنَّة والجماعة على أسطورةِ

نـزول الوحي في الآيـات الأولـى من سـورةِ العلَق في التمهيدِ لأسطورة المعراج؟.

للإجابة نتذكَّرُ أنَّ أهلَ السُّنَّة والجماعة ليسوا هم مَن دمجَ أسطورةَ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب بأسطورةِ المعراج، فقد كان المعراجُ بعد البعثة بعدَّةِ سنواتٍ حسب رأيهم، بمعنى أنَّهم لم يستحدثوا هذا الدمجَ، بل اعتمدوه، عندما استُحدِثَ فحسب، إذ ذكروا أسطورةَ نزول الوحي مع الآيات الأولى من سورةِ العلق، أو ما شابهها، على أنَّها أسطورةَ بعثة. من ناحيةٍ أُخرى لم يهتمَّ الـرواةُ الآخـرون بتضاربِ تاريخ هذه الأحـداث، وتسلسلِها عند أهل السُّنَّة والجماعة، وذلك لأنَّهم لم يعرفوا هذا الاختلافَ، وكانت أسطورةُ شقِّ الصدر وتطهير القلب هي أسطورةُ البعثة الصحيحة عندهم.

لا ينفي تركُ أهل السُّنَّة والجماعة أسطورةَ شقِّ الصدر وتطهير القلب باعتبارها أسطورةَ بعثةٍ، وجودَ مُحدِّث، أو عالمٍ مشهور، عدَّها أسطورةَ بعثة[1]، وذلك قبل أنَّ يشتدَّ اعتراضُ أهل السُّنَّة والجماعة عليها، كان افتراضُ «أنَّ مُحمَّداً كان وثنياً قبل بعثته»[2] مُنتشراً على نطاقٍ واسع بين أوساطِ المُسلمين، وهو الذي أكَّدته عبارةُ الحديث المُثيرة للجدل والخلاف، أي عبارةُ: «قبل أن يُوحى إليه»، وتفضي استنتاجاتُنا السابقة، عندما تناولنا هذه العبارة

(1) [سليمان بن بلال الذي يذكره بعد قليل، وقد سبقت ترجمته. المترجم].

(2) [بدليل:«شكٌّ أو شرك أو جاهلية أو ضلالة» الـواردة في روايـة الطبري الثانية. المترجم].

بالبحث[1]، إلى أنَّ دمجَ الأسطورتين استُحدِثَ قبل منتصفِ القرن الثاني للهجرة، فليس من المُمكِّن أنَّ تؤديَ مُقدِّمةُ رواية سليمان بن بلال إلى أسطورة المعراج[2]، ما لم تكن هذه الأخيرةُ تُذكَرُ عادةً مع أسطورة شقِّ الصدر تمهيداً لها، ومن المُمكن أنَّ عبارةَ: «قبل أن يُوحى إليه» أُضيفت إلى مُقدِّمةِ روايةٍ موجودة آنذاك، وفي هذه الحالةِ كانت المُقدِّمةُ موجودةً في زمنٍ مبكّرٍ حوالي عامِ مائة وخمسين للهجرة أيضاً.

لم تُعتبر أسطورةُ المعراج أسطورةَ بعثةٍ عند أهلِ السُّنَّة والجماعة مُطلقاً، فالمعراجُ بعد البعثة عندهم، وإن كانت كذلك في مراحلِها الأولى المُتعارضةِ مع إجماعِهم فيما بعد.

اختلفت الأحاديثُ في أسطورةِ المعراج عند دمجها بأسطورةِ شقِّ الصدر وتطهير القلب في كتب الحديث الصحيح، حيثُ ورَدَت دون أسطورةِ الإسراء أحياناً، أو معها في أحيانٍ أُخرى، والتصوُّرُ الذي قدَّمته كلُّ كتبِ الحديث الصحيح مُستفيضٌ؛ فيتوجبُ بحثُ هذا التصوُّرِ عن كثب، بمعنى أنَّ علينا اكتشافَ رواياتِ الأسطورة المُتشابهة المُتعدِّدة، في النصف الأوَّل من القرن الثالث للهجرة فيها، وسيكون مُنطلقُ البحث من كتاب

---

(1) انظر الصفحة 60 وما يليها.

(2) [حدَّثنا هارون بن سعيد الأيلي. حدَّثنا ابن وهب. قال: أخبرني سليمان وهو ابن بلال. قال: حدَّثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر. قال: سمعت أنس بن مالك يحدِّثنا عن ليلة أُسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة؛ أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أنْ يوحى إليه. وهو نائم في المسجد الحرام. صحيح مُسلم، 1: 148. المترجم].

الإيمان في «صحيح مُسلم»؛ لأنَّه أورد أحاديثَ أسطورةِ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب المُختلفةَ في بابٍ واحد، وهو باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماواتِ، وفرضِ الصلوات[1]، وقد تشكَّلت الروايةُ من «أسطورتي الإسـراء والمعراج» فحسب، دون آيَـةِ أسطورة تمهيدية، في حديثِ أسطورةِ المعراج الأول[2] (حدَّثنا حمَّاد بن سلمة[3]، حدثنا ثابت البُناني[4] عن أنس بن مالك)، بينما حديثُ أسطورة المعراج الثاني[5] هو أثرٌ لرأيٍ قديم، رأى أنَّ شقَّ الصدر وتطهيرَ القلب قدَّم لنزولِ وحي بعض الآيات في القرآن،

---

(1) يمكن إيجاد كل أو بعض الروايات الموجودة في صحيح مُسلم في مجموعات أخرى أيضاً، لكن البحث سعياً لاستخراج ذلك مضيعة للوقت؛ لأنَّه لدينا برهان قاطع من مُسلم، علاوة على ذلك لم تكن كل مجموعات الحديث الصحيح متاحةً لي.

(2) [حدَّثنا شيبان بن فروخ. حدَّثنا حماد بن سلمة. حدَّثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال «أتيت بالبراق (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل. يضع حافره عند منتهى طرفه) قال، فركبته حتَّى أتيت بيت المقدس. صحيح مُسلم ، 1: 145. المترجم].

(3) تُوفِّيَ 167هـ، ابن حجر، تهذيب التهذيب، 3: 11 وما يليها.
[حماد بن سلمة بن دينار (تُوفِّيَ سنة 167هـ/784م)، مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث، ومن النُّحاة. كان حافظاً ثقةً مأموناً. الأعلام، 2: 272. المترجم].

(4) راجع الصفحة 70.

(5) الذي بحثناه في الصفحة 70-71.
[حدَّثني عبد الله بن هاشم العبدي. حدَّثنا بهز بن أسد. حدَّثنا سليمان بن المغيرة. حدَّثنا ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم. فشرح عن صدري. ثمَّ غسل بماء زمزم ثمَّ أنزلت». صحيح مُسلم، 1: 147. المترجم].

واحتوى على تطهيرٍ للقلب فقط بالقربِ من بئر زمزم، مع عدمِ الإشارة إلى عمرِ النَّبي آنذاك.

أمَّا حديثُ أسطورة المعراج **الثالث**[1] في صحيحِ مُسلم، فهو عن حمَّادِ بن سلمة، عن ثابتِ البُناني، عن أنسٍ بن مالك، وهو مثلُ حديثِ ابن سعد[2]، ولكنَّه بإسنادٍ آخر، حيثُ روى مُسلمٌ عن شيبان بن فروخ[3]، في حينِ روى ابنُ سعد عن يزيدِ بن هارون[4]،

(1) [حدَّثنا شيبان بن فروخ. حدَّثنا حماد بن سلمة. حدَّثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك؛ أنَّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان. فأخذه فصرعه فشقّ عن قلبه. فاستخرج القلب. فاستخرج منه علقة. فقال: هذا حظ الشيطان منك. ثمَّ غسله في طست من ذهب بماء زمزم. ثمَّ لأمه. ثمَّ أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا: إنَّ محمداً قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. **صحيح مُسلم**، 1: 147. المترجم].

(2) **طبقات ابن سعد**، 1: 97، الأسطر 7-12.
[أخبرنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قال: أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ، كان يلعب مع الصبيان فأتاه آت فأخذه فشق بطنه فاستخرج منه علقة فرمى بها وقال: هذه نصيب الشيطان منك، ثمَّ غسله في طست من ذهب من ماء زمزم ثمَّ لأمه، فأقبل الصبيان إلى ظئره: قتل محمد! قتل محمد! فاستقبلت رسول الله ﷺ، وقد انتقع لونه، قال أنس: فلقد كنا نرى أثر المخيط في صدره. **الطبقات الكبرى**، 1: 120. المترجم].

(3) تُوفِّيَ سنة 235هـ أو 236هـ، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 4: 374-375.
[شيبان بن فروخ الحبطي، المُحدِّث، الحافظ، الصدوق، مُسند عصره. يُنسب إلى البصرة. ولد: سنة أربعين ومائة. ومات: سنة ست وثلاثين ومائتين - على الصحيح. **سير أعلام النبلاء**، 11: 101-102. المترجم].

(4) تُوفِّيَ 206هـ، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 11: 366 وما يليها.

وعفانِ بن مُسلم[1]، وروايتُهما عن حمَّاد بن سلمة تعني أنَّ الحديثَ يعود إلى منتصفِ القرن الثاني للهجرة، وربَّما حتَّى إلى ثابتٍ البُناني (تُوفِّيَ سنة 123هـ، أو 127هـ)، أي إلى بدايةِ ذلك القرن، فتعودُ إذن اختلافاتُ متنِ الحديث عند ابن سعد، ومُسلمٍ إلى الروايةِ بعدَ حمَّاد بن سلمة.

مضمونُ الحديث أنَّ محمَّداً كان يلعبُ مع الأولاد (عند ابن سعدٍ: **الصبيان**، وعند مُسلمٍ: **الغلمان**)، عندما أتاه شخصٌ (عند ابن سعد: **أتاه آتٍ**) أو جبريلُ (عند مُسلم) وأمسكَ به (**أخذه** عند ابن سعد، وصرعه، أي أوقعه، عند مُسلم)، فشقَّ بطنَه (عند ابن سعد، **شقَّ عن قلبه** عند مُسلم)، وأخرجَ منه علَقَةً، فرمى بها (هذه العبارةُ الأخيرة عند ابنِ سعد فقط)، فقال: هذه نصيبُ الشيطان منك (عند ابنِ سعد)، هذا حظُّ الشيطان منك (عند مُسلم)، «ثمَّ غسلَه في طستٍ من ذهبٍ بماء زمزم، ثمَّ لأمَه (ثم أعاده في مكانه)»، ثمَّ ذهب الأولادُ إلى أُمِّه بالرضاعة (عند مُسلم «أمه، يعني ظئره[2]»)، فقالوا: «قُتِلَ محمَّدٌ»، فذهبتُ إليه ووجدتُه، وقد انتقعَ لونُه، قال أنسُ: «وقد كنتُ أرى أثرَ ذلك المخيطِ في صدرِهِ».

[يزيد بن هارون بن زاذان (118-206هـ/736-821م)، من حفاظ الحديث الثقات. أصله من بخارى. ومولده ووفاته بواسط. **الأعلام**، 8: 190. المترجم].

(1) تُوفِّيَ سنة 219هـ أو 220هـ، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 7: 230 وما يليها. [عفان بن مُسلم بن عبد الله (134-220هـ/751-835م)، من حفاظ الحديث الثقات. كان من أهل البصرة وسكن بغداد. **الأعلام**، 4: 238. المترجم].

(2) [الظِئر: العاطفة على ولد غيرها، المرضعة له في الناس وغيرهم، للذكر والأنثى. **القاموس المُحيط**: 432. المترجم].

من المُلاحظِ أنَّ ابنَ سعد حافظَ على الأسطورةِ بقوامِها القديم، أمَّا عند مُسلم، فقد ظهرَ جبريلُ في الصورة، ويُشيرُ تعليقُ مُسلم المُتعلِّق بالأمِّ بصفتها أُمّاً بالرضاعة، إلى مرحلةٍ لاحقة في تطوُّرِ الأسطورة، حيثُ يُوضعُ مُحمَّدٌ في مكَّة (لاحظ الماءَ من زمزم)، إلا أنَّ بيئةَ الأسطورةِ القديمة الصحراوية لم تختفِ تماماً[1].

يُبيِّنُ حديثُ مُسلم الثالث ظاهرةً مُلفتةً للنظر، هي أنَّ روايةَ أسطورةِ شقِّ الصدر وتطهير القلب، في طفولة مُحمَّد، ما تزالُ حقيقةً حيَّة في منتصفِ القرن الثالث للهجرة أيضاً، وكانت كذلك منذُ منتصفِ القرن السابق له على الأقلِّ، وكانت قد تطوَّرت أيضاً قبلَ هذه الفترة وبعدها، ولم يدمجْها رواتُها بأسطورةِ المعراج، بالإضافةِ إلى تطابقِ إسناد هذا الحديثِ مع إسنادِ حديثِ أسطورة المعراج الأوَّلِ الذي ذُكِرَ فيه الإسراءُ والمعراج فقط، حيثُ لم يدمجْ حمَّادُ بن سلمة، وثابتُ البُناني الأسطورتين معاً. ومن هنا نتساءلُ: كيفَ حسِب شريكه وغيرُه من الباحثين والعلماء أنَّ دمجَ أسطورةِ شقِّ الصدر وتطهير القلب بأسطورةِ المعراج أقدمَ من هذا الحديثِ، مع أنَّ الدمجَ لم يُذكر عندَ ابنِ إسحاق، ووردَت كذلك أسطورةُ شقِّ الصدر، بشكلٍ مستقلٍ عن أسطورة المعراج، في كتب الحديث الصحيح التي هي مصدر دمج الأسطورتين الأقدم؟.

صنَّف مُسلمٌ أسطورةَ شقِّ الصدر في طفولة مُحمَّدٍ، في باب «الإسراء» كما هو معروف، وروى أحاديثَ مُختلفةً لموضوعٍ واحد في بابٍ واحد، وهو الأسلوبُ الغالبُ عند مُسلم، على عكسِ

(1) انظر الصفحة 95 وما يليها.

البخاري الذي ترك مُقدِّمةَ الحديث هي التي تُحدِّد كتابَ الحديث أو بابَه[1]، وبناءً على ذلك، فقد روى مُسلمٌ أحاديثَ أسطورة شقِّ الصدر وتطهير القلب المُتعلِّقة بأسطورةٍ أُخرى في بابٍ واحد، مثلما نقلَ أحاديثَ الأسطورة نفسِها المُتعلِّقةَ بأسطورةِ الإسراء.

تجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ حمَّاد بن سلمة روى حديثَ شقِّ الصدر على جبلِ حِراء[2]، لكنَّ كتبَ الحديث الصحيح تركتها.

يأتي دمجُ أسطورة شقِّ الصدر وتطهير القلب بأسطورةِ الإسراء، وهو النمطُ المُهيمن في كتبِ الحديث الصحيح، في حديثِ أسطورة المعراج **الرابع** عند مُسلمٍ، وفيه أمورٌ مُثيرة[3]، حيثُ أظهرَ تطوُّرَ أسطورة شقِّ الصدر وتطهير القلب (عودتها) إلى طفولة مُحمَّد، فمُسلمٌ لم يُعد يسلِّمُ بنمطِ دمج الأسطورتين المُهيمن، وذكر بدايةَ متنِ الحديث فقط إلى: «قبل أن يوحى إليه، وهو نائمٌ في المسجد الحرام»[4]، ثمَّ توقَّف فجأةً، وأشارَ إلى حديثِ ثابت

---

(1) ألفرد غيوم، الحديث في الإسلام: مدخل لدراسة نصوص الحديث، الصفحة 31.

(2) كما هو موضح في الصفحة 61-63.

(3) وهو الحديث الذي تناولناه في الصفحة 59 وما يليها، **صحيح البخاري**، تحقيق لودولوف كريل، 4: 485، كذلك الطبري، **تفسير الطبري**، 15: 3-4.

(4) [حدَّثنا هارون بن سعيد الأيلي، حدَّثنا ابن وهب. قال: أخبرني سليمان وهو ابن بلال. قال: حدَّثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر. قال: سمعت أنس بن مالك يحدَّثنا عن ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة؛ أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه. وهو نائم في المسجد الحرام. وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني. وقدم فيه شيئاً وأخَّر. وزاد ونقص. **صحيح مُسلم**، 1: 148. المترجم].

البُناني الذي روى من قبلُ أسطورةَ «الإسراء والمعراج»، وأسطورةَ شقِّ الصدر وتطهير القلب في طفولة مُحمَّد، ولم يدمجْهما، ولقد تعمَّد مُسلمٌ إذن الإشارةَ إلى أنَّ تاريخَ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب في حديثي أسطورةِ المعراج الأوَّل والثالث أقدمُ من تاريخها في حديثِ أسطورة المعراج الرابعِ، حيثُ ذكَرَ ذلك صراحةً بأنَّ المُحدِّثَ فيه: «قدَّم فيه شيئاً وأخَّر، وزاد ونقصَ».

ودمجَ حديثُ أسطورة المعراج **الخامس** عند مُسلمٍ[1] أسطورةَ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب بأسطورةِ المعراج أيضاً.

وحديثُ أسطورةِ المعراج **السادس** هو آخرُ حديثٍ ذكَرَ روايةَ أسطورةِ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب مُستقلةً، وهو الحديثُ المشهور عن قَتَادة[2]، عن أنسِ بن مالك، عن مالك بن صعصعة[3]، عن النَّبيِّ[4]، ....

(1) هو الحديث نقلاً عن أنس بن مالك أنه سمع أبا ذرّ يتحدث، والذي تناولناه في الصفحة 58-59.

(2) [قتادة بن دعامة بن قتادة (61-118هـ/680-737م) مُفسِّر حافظ ضرير أكمه. **الأعلام**، 5: 189؛ المترجم].

(3) [مالك بن صعصعة الأنصاري المازني روى عن النَّبي ﷺ حديث المعراج بطوله وعنه أنس بن مالك. **تهذيب التهذيب**، 10: 17. المترجم].

(4) [حدَّثنا مُحمَّد بن المثنى. حدَّثنا ابن أبي عدي عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك. (لعله قال) عن مالك بن صعصعة (رجل عن قومه) قال: قال نبي الله ﷺ: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان. إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين. فأتيت فانطلق بي. فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم. فشرح صدري إلى كذا وكذا. (قال قتادة: فقلت للذي معي: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطنه) فاستخرج قلبي. فغسل ماء زمزم. ثمَّ

وقد أورَدَه الآلوسيُّ في تفسيره[1]، وقال: رواه البخاري والترمذي[2] والنسائي[3].

أعيد مكانه. ثمَّ حشي إيماناً وحكمة. ثمَّ أتيت بدابة أبيض يقال له البراق. فوق الحمار ودون البغل. يقع خطوه عند أقصى طرفه. فحُملت عليه. ثمَّ انطلقنا حتَّى أتينا السماء الدنيا. **صحيح مُسلم**، 1: 149. المترجم].

(1) الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، 30: 167، انظر كذلك شبرنغر، **حياة مُحمَّد**، 1: 168.
[روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن قتادة قال: حدَّثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النَّبي ﷺ قال: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فأتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا» قال قتادة: قلت - يعني لأنس - ما تعني قال إلى أسفل بطني؟ قال: «فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثمَّ أعيد مكانه ثمَّ حشي إيماناً وحكمة، ثمَّ أتي بدابة دون البغل وفوق الحمار البراق فانطلقت مع جبريل عليه السلام حتَّى أتينا السماء الدنيا». **تفسير الآلوسي**، 15: 387. المترجم].

(2) [حدَّثنا مُحمَّد بن بشار، قال: حدَّثنا مُحمَّد بن جعفر، وابن أبي عدي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رجل من قومه: أنَّ النَّبي ﷺ قال: «بينما أنا عند البيت» بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد بين الثلاثة، فأتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا. قال قتادة: قلت لأنس بن مالك: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطني قال: فاستخرج قلبي فغسل قلبي بماء زمزم، ثمَّ أعيد مكانه، ثمَّ حشي إيماناً وحكمة. **سنن الترمذي**، 5: 369. والترمذي هو مُحمَّد بن عيسى بن سورة (209-279هـ/824-892م) من أئمة علماء الحديث وحفاظه، مات بترمذ. **الأعلام**، 6: 322. المترجم].

(3) [أخبرنا إسماعيل بن مسعود، قال: أخبرنا يزيد بن زريع، قال: أخبرنا هشام يعني ابن أبي عبد الله، وسعيد، قالا: أخبرنا قتادة، قال: أخبرنا أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، أنَّ نبي الله ﷺ قال: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ أقبل أحد الثلاثة بين الرجلين فأتيت بطست من ذهب، ملأى حكمة وإيماناً، فشقّ من النحر، إلى مراق البطن، ثمَّ غسل القلب =

وقد جاء الحديثُ في باب المعراج، في كتابِ فضائلِ الصحابة من صحيحِ البخاري[1]، (وهو الحديثُ رقم 42 في صحيح البخاري تحقيق لودولف كريل، وفي نسختي طبعة القاهرة) [2]، واختلفَ رواةُ الحديث بعد قتادةَ عند البخاري ومُسلم، فرواةُ الحديثِ عند البخاري هم هُدبة بن خالد[3] ....

بماء زمزم، ثمَّ ملئ حكمة وإيماناً، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار يسمى البراق فانطلقت مع جبريل. **سنن النسائي**، 1: 197. والنسائي هو أحمد بن علي بن شعيب (215-303هـ/830-915م) مُحدِّث قاض، أصله من خراسان، ودُفن بالقدس. **الأعلام**، 1: 171. المترجم].

(1) [حدَّثنا هدبة بن خالد: حدَّثنا همام بن يحيى: حدَّثنا قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة ﷺ: أنَّ نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به: بينما أنا في الحطيم، وربما قال في الحجر، مضطجعاً، إذ أتاني آت فقد - قال: وسمعته يقول: فشق - ما بين هذه إلى هذه - فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته - فاستخرج قلبي، ثمَّ أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً، فغسل قلبي، ثمَّ حشي ثمَّ أعيد، ثمَّ أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض - فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم - يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحُملت عليه، فانطلق بي جبريل حتَّى أتى السماء الدنيا. **صحيح البخاري**، 3: 410. وفي صحيح البخاري تسميتان للكتاب: «فضائل الصحابة» أو «مناقب الأنصار». المترجم].

(2) **صحيح البخاري**، تحقيق لودولوف كريل، 3: 30 وما يليها. صحيح البخاري 5: 145 وما يليها (كتاب المناقب، باب المعراج).

(3) تُوفِّيَ سنة 235هـ أو 236هـ أو 237هـ أو 238هـ، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 11: 24-25.

[هدبة بن خالد بن أسود، الحافظ، الصادق، مُسند وقته، ولد: بعد الأربعين ومائة بقليل، اختلفوا في تاريخ موته، فروي أنه مات في سنة خمس

عن هَمَّام بن يحيى[1]، أمَّا عند مُسلمٍ، فهم مُحمَّد بن المثنى[2] عن ابن أبي عدي[3]، عن سعيد[4]، كما اختلفَ متنُ الحديث كثيراً،

وثلاثين ومائتين، وقيل: مات سنة ست، أو سبع وثلاثين، وقيل: سنة ثمان أيضاً. **سير أعلام النبلاء**، 11: 97-100. المترجم].

(1) تُوفِّيَ 163هـ، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 11: 67 وما يليها.

[همام بن يحيى بن دينار، الإمام، الحافظ، الصدوق، الحجة. ولد بعد الثمانين، وفاته في سنة ثلاث وستين ومائة، وقيل: مات في رمضان، سنة أربع وستين. **سير أعلام النبلاء**، 7: 296-301. المترجم].

(2) تُوفِّيَ 252هـ، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 9: 245 وما يليها.

[مُحمَّد بن المثنى بن عبيد (167-252هـ/783-866م)، عالم بالحديث، من الحفاظ، من أهل البصرة، وتُوفِّيَ فيها. **الأعلام**، 7: 18. المترجم].

(3) مُحمَّد بن إبراهيم بن أبي عدي، تُوفِّيَ 194هـ، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 9: 12-13.

[محمد بن إبراهيم السُّلمي، الحافظ، مُحدِّث ثقة، مولده في حدود العشرين ومائة، مات في سنة أربع وتسعين ومائة. **سير أعلام النبلاء**، 9: 220-221. المترجم].

(4) سعيد بن أبي عروبة، تُوفِّيَ 155هـ، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 4: 63 وما يليها. ومن الجدير بالذكر أنَّ نصَّ الحديث مُتطابق مع نص حديث مُسلم في **تفسير الطبري**، 15: 3.

[حدَّثنا مُحمَّد بن بشار، قال: ثنا مُحمَّد بن جعفر بن عدي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، وهو رجل من قومه قال: قال نبي الله ﷺ: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة، فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا» قال قتادة: قلت: ما يعني به؟ قال: إلى أسفل بطنه، قال: «فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم، ثمَّ أعيد مكانه، ثمَّ حشي إيماناً وحكمة، ثمَّ أتيت بدابة أبيض» وفي رواية أخرى: «بدابة بيضاء يقال له البراق، فوق الحمار ودون البغل، يقع خطوه منتهى طرفه، فحُملت عليه، ثمَّ انطلقنا حتَّى أتينا إلى بيت المقدس فصليت فيه بالنبيين والمرسلين =

حيثُ ذكَرَ البخاري تفاصيلَ كثيرةً دقيقة بشأنِ مكانِ الشقِّ في الجسد، في حينِ أُشيرَ إليه ببضعِ كلماتٍ عند مُسلم، فلدينا روايتانِ مُختلفتان، أو مرحلتانِ مُختلفتانِ للحديثِ نفسه، وقد مثَّل حديثُ مُسلم روايةً ثانويةً، لخَّصت أسطورةَ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب في رواية البخاري.

وروى البخاري في صحيحهِ، في كتابِ بدءِ الخلق، باب ذكر الملائكة[1]، حديثَ أسطورةَ المعراج السادس أيضاً، كما عند مسلم، ولكن عن مُحدِّثينِ مُختلفينِ، عن قَتَادة، أحدُهما هو نفسُه في روايةِ باب المعراج، والثاني مُختلفٌ[2]، فتؤكِّدُ هذه الحقيقةُ

إماماً، ثمَّ عُرج بي إلى السماء الدنيا». **جامع البيان في تأويل القرآن**، 14: 414. وسعيد بن أبي عروبة مهران العدوي، الإمام، الحافظ، عالم أهل البصرة، وأول من صنف السنن النبوية، قيل: مات في ست وخمسين ومائة. **سير أعلام النبلاء**، 6: 413-417. المترجم].

(1) **صحيح البخاري**، تحقيق لودولوف كريل، 2: 306.
[حدَّثنا هدبة بن خالد: حدَّثنا همام، عن قتادة. وقال لي خليفة: حدَّثنا يزيد بن زريع: حدَّثنا سعيد وهشام قالا: حدَّثنا قتادة: حدَّثنا أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة ﷺ قال: قال النَّبي ﷺ: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر: يعني رجلاً بين الرجلين - فأتيت بطست من ذهب، ملئ حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثمَّ غسل البطن بماء زمزم، ثمَّ ملئ حكمة وإيماناً، وأتيت بدابة أبيض، دون البغل وفوق الحمار: البراق، فانطلقت مع جبريل حتَّى أتينا السماء الدنيا. **صحيح البخاري**، 3: 173، المترجم].

(2) [الأول هو هُدبة بن خالد مرّت ترجمته، والثاني هو خليفة بن خياط العصفري البصري (تُوفِّيَ سنة 240هـ/854م)، مُحدِّث نسابة إخباري. **الأعلام**، 2: 312. المترجم].

وجودَ روايتينِ مُختلفتين للحديث نفسِه في القرنِ الثالث للهجرة، وروايةُ مُسلمٍ والبخاري هي الأوسعُ انتشاراً، وقد مثّلت بالأحرى تغييراً جذريّاً للروايةِ الأصلية.

سنبحثُ هذه الروايةَ، كما ورَدَت في صحيح مُسلم، لأسبابٍ عملية، وسنطلقُ عليها اسمَ رواية البخاري الثانية عند الإشارةِ إليها، أمَّا روايةُ البخاري، في باب المعراج، فسوف نطلقُ عليها اسمَ رواية البخاري الأولى.

كان مُحمَّدٌ في مكَّة بحسبِ كلتا الروايتين، ولكن فيما يتعلَّقُ بتحديدِ مكانه الدقيق، قال مُسلم (ورواية البخاري الثانية): «عندَ البيت» فقط، بينما ذكَرَت رواية البخاري الأولى: «الحَطيم» أو «في الحِجر».

تتطلَّبُ مسألةُ مكانِ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب بعضَ الملاحظاتِ، حيثُ كان تطهيرُ قلبِ النَّبيِّ، في طفولتِهِ، في الصحراءِ كما نعلمُ، وذلك عندما كان مُقيماً عند والديهِ بالرضاعةِ في بني سعد، ونلاحظ أنَّ الحديثَ عند مُسلم، هو حديثُ أسطورةِ المعراج الثالث، وابنُ سعد[1] لم يذكرْ شيئاً عن الصحراءِ، أو بني سعد، بل ذكَرَ فقط أنَّ الصبيَ كان يلعبُ مع الأولادِ، ثمَّ طُهِّر بماءِ زمزم، وهذا يشيرُ أكثرَ إلى الكعبةِ من الصحراء، ويلمِّحُ تعديلُ مُسلمٍ عبارةَ «أمِّه بالرضاعة» (يعني ظئرَه)، عندما طُلبَ من أصدقاءِ النَّبيِّ الصبيانِ أن يركضوا «إلى أمِّه»، إلى حديثٍ أقدمَ بدلاً من استنباطٍ من حديثٍ أحدثَ.

---

(1) طبقات ابن سعد، 1: 97، الأسطر 7-12، انظر الصفحة 86-87.

ومن ناحيةٍ أُخرى، نجدُ إشارةً إلى الصحراءِ، في حديثِ أبي هريرةَ في «السيرة الحلبية»[1]، إلا أنَّ نمطَ البعثة محذوفٌ من متنِه، وعلاوةً على ذلك لا يأتي المعراجُ بعده؛ كونَ تطهيرِ القلب حدَثَ في الصحراءِ، قبلَ البعثة بعشرينَ عاماً[2]، وبناءً على ذلك، فلا يمكنُ أن تتركَ روايةُ أسطورةِ البعثة شقَّ الصدرِ وتطهيرَ القلب يحدثُ في الصحراءِ، ولا بدَّ من أن يكونَ استبعادُ الصحراء نتيجةَ تأثيرِ رواياتِ الأسطورة الأخرى، فقد طُهِّرَ القلبُ على جبلِ حِراء في رواية الطيالسي[3]، وطُهِّرَ كذلك في مكَّة في تاريخ الطبري[4]، «ببعضِ بطحاءِ مكَّة».

أمَّا مكانُ تطهيرِ القلب في حديثِ أنس بن مالك، قال: كان أبو ذرٍّ يحدِّثُ[5]، فكان بيتَ النَّبيِّ نفسِه، ثمَّ غُسلَ الجسدُ بماء زمزم.

يبدو أنَّ تطهيرَ القلب بماءِ زمزم سمةٌ دائمةٌ من سماتِ أسطورةِ

---

(1) [رواية شقِّ الصدر الرابع (أو الشقُّ الخامس بحسب بعض العلماء): عن أبي هريرة قال: «يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟، ...». السيرة الحلبية، 1: 149. المترجم].

(2) [حيث ذكَرَ في الحديث أنَّ عمر النَّبي كان عشرين عاماً، وقد بُعث وهو ابن أربعين عاماً. المترجم].

(3) [حديث: «أن رسول الله ﷺ اعتكف هو وخديجة شهراً، ...». مُسند أبي داود الطيالسي، 3: 125-127. المترجم].

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 1154.
[رواية الطبري الأولى. تاريخ الطبري، 2: 304. المترجم].

(5) [حديث أسطورة شقِّ الصدر الخامس عند مُسلم: أنَّ رسول الله ﷺ قال «فرج سقف بيتي وأنا بمكة. فنزل جبريل ﷺ. ففرج صدري. ثمَّ غسله من ماء زمزم ...». صحيح مُسلم، 1: 148. المترجم].

شقِّ الصدر في رواياتِ كتب الحديث الصحيح[1]، وهو يومئ إلى مكانٍ قربَ الكعبة، وقد عزَّز تعلُّقُ الأسطورةِ بأسطورةِ الإسراء فكرةَ تحديدِ المكان بالقربِ من الكعبةِ بقوَّة، حيثُ اعتُبر أنَّ بدءَ الأسطورتين كان بالمسجدِ الحرام، وذلك بحسبِ القرآن (سورة الإسراء: 1) [2] والأحاديثِ النبويَّة، إلا أنَّ عباراتِ: «عندَ البيت» و«حول البيت»[3]، «في الحِجر» أو «في الحَطيم»، تُبعدُ المكانَ عن أن يكونَ داخلَ الكعبة؛ لأنَّها معبدٌ وثنيٌّ لعبادةِ الأصنام، ولم تُطهَّر بعدُ، فاقتضى هذا البحثَ عن مكانٍ آخرَ، خارجَ المعبد، مع إشارةِ ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ في سورةِ الإسراء إلى الكعبةِ نفسِها، وإشارةِ «في الحِجر»، أو «في الحَطيم»، في بعضِ الأحاديث: إلى خارجِ الكعبة[4].

---

(1) توجد هذه السمة في جميع روايات الأسطورة في صحيح مُسلم، وإن لم تكن في صحيح البخاري. انظر الصفحة 103.

(2) [﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ الإسراء: 1. المترجم].

(3) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 1: 1157.
[رواية الطبري الثانية. **تاريخ الطبري** 2: 307. المترجم].

(4) أدخل عبد الله بن الزبير الحِجر في الكعبة عام 683م وبعد عشر سنوات أخرجه الأمويون، انظر أرند جان فنسنك، **معجم المصطلحات الإسلامية**، فقرة الكعبة، الصفحة 237، وانظر أيضاً كرستيان سنوك هرخرونيه، المصدر نفسه، فقرة مكة، 1: 3، 2: 70-71.
[الحجر حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة، فسمي حجراً لذلك، لكن فيه زيادة على ما فيه البيت حدة، وفي الحديث: من نحو سبعة أذرع، وقد كان ابن الزبير أدخله في الكعبة حين بناها فلما هدم الحجاج بناءه صرفه عما كان عليه في الجاهلية، وفي الحجر قبر هاجر أم إسماعيل عليهما السلام. **معجم البلدان**، 2: 221. والحطيم: بالفتح ثمَّ الكسر: بمكة، قال مالك بن أنس: =

هناك حديثٌ عندَ ابن إسحاق، وفي تفسيرِ الطبري[1]، يتعلَّقُ بالإسراءِ عن الحسنِ البصري (تُوفِّيَ 110هـ/728م)[2]، وهو أهمُّ

هو ما بين المقام إلى الباب، وقال ابن جريج: هو ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر، وقال ابن حبيب: هو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيثُ يتحطم الناس للدعاء، وقال ابن دريد: كانت الجاهلية تتحالف هناك يتحطمون بالأيمان، فكل من دعا على ظالم وحلف إثماً عجلت عقوبته، وقال ابن عباس: الحطيم الجدر بمعنى جدار الكعبة، وقال أبو منصور: حجر مكة يقال له الحطيم ممَّا يلي الميزاب، وقال النضر: الحطيم الذي فيه الميزاب، وإنما سُمّي حطيماً لأنَّ البيت ربع وترك محطوماً. **معجم البلدان**، 2: 273. عبد الله بن الزبير بن العوام (1-73هـ/622-692م)، فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، بويع له بالخلافة سنة 64هـ عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، ونشبت بينهما حروب انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة في أيام عبد الملك بن مروان. **الأعلام**، 4: 87. وكرستيان سنوك هرخرونيه (1875-1936)، مُستشرق هولندي، أستاذ اللغة العربية، أقام في «جدة» باسم: عبد الغفار. **الأعلام**، 5: 221. المترجم].

(1) **سيرة ابن إسحاق**، الصفحة 264. الطبري، **تفسير الطبري**، 15: 3. [قال ابن إسحاق: وحدثت عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم في الحجر، إذ جاءني جبريل، فهمزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه، فجلست، فأخذ بعضدي، فقمت معه، فخرج (بي) إلى باب المسجد، فإذا دابة أبيض، بين البغل والحمار، في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه، يضع يده في منتهى طرفه، فحملني عليه، ثمَّ خرج معي لا يفوتني ولا أفوته. **سيرة ابن هشام**، 1: 397، **وجامع البيان في تأويل القرآن**، 14: 415. المترجم].

(2) [الحسن بن يسار البصري (21-110هـ/642-728م)، إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. **الأعلام**، 2: 226. المترجم].

رواةِ ابن إسحاق، مضمونه: كان مُحمَّد نائماً في الحِجر، عندما جاءَه جبرائيلُ، فهمزَه بقدمهِ ثلاثَ مرَّاتٍ، ثمَّ أخذَه إلى الخارج، ووضعَه على الدابَّةِ التي حملته في إسرائه. لم يُذكَر الحديثُ في كتبِ الحديث الصحيح؛ بسبب قدمهِ واستخفافاً بإسنادهِ فلا بدَّ من أن يُعدَّ حديثاً صحيحاً موثوقاً به، إذ لا يوجدُ سببٌ يدعو إلى الاعتقادِ بأنَّه ابتُدِعَ، ونُسِب إلى التقيِ الورعِ والعلامةِ الحسنِ البصري[1].

شكَّل «الحِجر» في هذا الحديثِ الاستثنائي جزءاً، لا يتجزَّأُ من أسطورتي الإسراء والمعراج، فلا بدَّ من وجودِ حديثٍ قديمٍ، جمَع بين «الحِجر» والأسطورتين، في ذاكرة الحسن البصري، ومن هنا جِيَء بهذا المكانِ في رواياتِ أحاديثِ أسطورة شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب اللاحقة، القديمَ الظاهر في حديثِ الحسَن البصري نفسه، مثلِ روايةِ البخاري الأولى التي هي قيدَ البحث، وبإمكاننا الآن تحديدُ مكانِ «الحِجر» الدقيق، ومكان «الحَطيم» أيضاً، حيثُ مثَّل الاسمانِ أماكنَ متجاورةً خارجَ الكعبة.

في حديثِ «ذكرِ المعراج وفرضِ الصلوات» عندَ ابن سعد[2] المذكورِ آنفاً، أنَّ مُحمَّداً كان نائماً في بيتِهِ ظهراً، ثمَّ نُقِل إلى المنطقةِ الواقعة ما بينَ مقامِ إبراهيمَ وزمزم؛ ليبدأَ معراجَه، ونلاحظُ أنَّ نومَ مُحمَّد في بيتِهِ بدا غريباً في حديثٍ، لم يتضمَّنْ تطهيراً لقلبِهِ، مع العلمِ أنَّه طُهِّر في بيته، حسبَ روايةِ الحديث المنسوب

(1) [سبب ترك الحديث أنَّ الحسن يرفعه إلى رسول الله مباشرة. المترجم].
(2) **طبقات ابن سعد**، 1: 143.
[حديث: «ذكر المعراج وفرض الصلوات». **الطبقات الكبرى**، 1: 166، المترجم].

إلى أبي ذرٍّ السابقِ ذكرُه[1]، فيبدو حديثُ ابن سعد طوراً وسيطاً بين حديثِ أبي ذرٍّ، وبينَ رواياتِ الحديث التي تضعُ شقَّ الصدر وتطهيرَ القلب، وبدءَ المعراج على مشارفِ الكعبة، ومن الراجح أنَّ تطهيرَ القلب كان موجوداً في حديثِ ابن سعد أساساً، ثمَّ استُبعِدَ منه لاحقاً؛ لأنَّ ابنَ سعد وضعَ تطهيرَ قلب مُحمَّد في طفولته، وأنَّ تاريخَ هذا الحديثِ هو أقدمُ من تاريخِ دمجِ أسطورة شقِّ الصدر وتطهير القلب بأسطورةِ المعراج؛ كونَه منسوباً إلى أبي بكرِ بن عبد الله بن مُحمَّد بن أبي سبرة[2] وغيرِهِ من رواةِ الواقدي، لذا توجَّبَ نقلُ النَّبيِّ إلى الكعبةِ؛ لأنَّ ماءَ زمزم لازمٌ أساسيٌّ لتطهيرِ قلبه، وهو ما حدَّدَ ابنُ سعد المكانَ الدقيقَ به: «ما بينَ المقام (مقام إبراهيم) وزمزم»، وكلاهما واقعانِ خارجَ الكعبة[3]، حالُهما حالُ «الحِجر» و«الحَطيم»، وهكذا يبدو أنَّ روايةَ ابن سعد افترضت وجودَ نصٍّ سابقٍ لأسطورة شقِّ صدر النَّبي وتطهير قلبه، بجوار الكعبة، قبلَ معراجه، إلا أنَّها استبقت عبارةَ: «النوم في البيت»، وهي أثرٌ باقٍ من روايةٍ قديمةٍ مثلِ رواية أبي ذرٍّ، لذا ليس من المستحيل أن يكونَ «البيت» هو مكانُ تطهيرِ القلبِ الأقدمِ تاريخياً[4].

---

(1) راجع الصفحة 58-59.

(2) تُوفِّيَ 162هـ، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 12: 27-28.

[أبو بكر بن عبد الله العامري، الفقيه الكبير، قاضي العراق، قيل: تُوفِّيَ ببغداد، سنة اثنتين وستين ومائة. **سير أعلام النبلاء**، 7: 330-332. المترجم].

(3) انظر **معجم المصطلحات الإسلامية**، الصفحة 237، والصفحة 824.

(4) انظر الصفحة 145 وما يليها.

تضمَّنَ كلامُ شريكه[1]: لا يمكنُ فهمُ حديثِ ابن سعد[2] إلا عندَ ذكرِ حديثِ أسطورة المعراجِ الثاني عند مُسلم[3]، رأياً سديداً، لكنَّه ليس قاطعاً، حيثُ قال: «إنَّ هذه الروايةَ ضعيفةٌ، فلماذا نُقِل مُحمَّدٌ إلى مقامِ إبراهيم، عندما أُوتيَ بالمعراج؟»، حيثُ تُرجمت العبارةُ الأخيرةُ: «كانَ قد أوتيَ (بالمعراج)»، إلا أنَّه لا يمكنُ فهمُ حديثِ ابن سعد على هذا المنوالِ: ذهبَ جبريلُ وميكائيلُ مع النَّبيِّ إلى المكانِ الواقع بين المقامِ وزمزم، وعندئذ فقط (فـ) قد أُوتي بالمعراج[4]، والمثيرُ للدهشةِ أكثَرَ ليس تحديدَ مكانِ تطهير القلبِ عند الكعبة، بل نومُ مُحمَّدٍ في بيتِهِ قبل ذهابه هناك، فلا بدَّ من رجوعِ التطهير بماء زمزم إلى أسطورةِ التطهيرِ المحذوفةِ عندَ ابن سعد.

شريكه على حقٍّ حتَّى الآن، إلا أنَّ حديثَ أسطورةِ المعراج الثاني عند مُسلمٍ يعزِّزُ فهمَنا بأنَّ أحاديثَ أسطورة شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب الأخرى كانت مُرتبطةً بماء زمزم فقط[5]، ومن ثَمَّ عيَّن هـذا الحديثُ مكانَ تطهير القلب آنـذاك، وهـو أمرٌ غيرُ ضروري؛ لأنَّه دمجَ أسطورةَ شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب بأسطورةِ البعثةِ عند أهلِ السُّنَّة والجماعة كما ذكرنا آنفاً، وعندَهم أنَّ تطهيرَ القلب في جبلِ حِراء.

---

(1) شريكه، معراج مُحمَّد في مجلة الإسلام 6، 1915، صفحة 9، السطر الثاني.

(2) طبقات ابن سعد، 1: 143.

(3) [«أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم. فشرح عن صدري. ثمَّ غسل بماء زمزم ثمَّ أنزلت». صحيح مُسلم، 1: 147. المترجم].

(4) عبارة شريكه «كان قد أوتي» غير صحيحة بصيغة الماضي التام.

(5) راجع الصفحة 89.

مثَّل تحديدُ الأماكن عندَ ابن سعد، وفي روايةِ البخاري الأولى محاولاتٍ مختلفةً، سعت إلى أن يكونَ التطهيرُ بجوارِ الكعبة، وبما أنَّ هذه التحديداتِ اختلفت، فإنَّ الأحاديثَ اللاحقة، في روايات مُسلمٍ، وروايةِ البخاري الثانية، وروايةِ الطبري الثانية[1]، كرَّرت عباراتٍ مُبهمةً.

وبناءً على ذلك نؤكِّد على أنَّ ربطَ أسطورتي الإسراء والمعراج بمكانِ التطهير المُحدَّدِ على مشارفِ الكعبة هو أمرٌ مُستحدثٌ، فلم يحدث التطهيرُ أساساً مع الأسطورتينِ في مكَّة، ولم يُوضعْ في الصحراءِ بعد ذلك، الأمرُ الذي سيكونُ مثلَ نتيجةِ رأيِ شريكه، وذلك لأنَّ:

1. حديثُ أسطورة شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب في سنِّ الطفولة عند مُسلمٍ، وابنِ سعد آنف الذكرِ، يُبيِّن أنَّ روايةَ التطهير في الصحراء هي أقدمُ من روايةِ التطهير في الكعبة، فالحديثُ السابق في طريقهِ إلى الزوالِ، وليس في طريقِ الظهور.

2. بدءُ الإسراء والمعراج كان من الكعبةِ كما نعلمُ، أو ما حولَها[2]، أمَّا مكانُ تطهير القلب، فكان مُختلفاً تماماً: في الصحراءِ، في البطحاءِ، في بيت النَّبيِّ، في جبلِ حِراء.

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 1157.

(2) من المُتفق عليه أنَّ أحاديث أم هانئ (الطبري، تفسير الطبري، 15: 3) جعلت مُحمَّداً نائماً في منزلها، عندما بدأ بالإسراء إلى أورشليم، لكن يبدو أنَّ تحديد المكان هذا له أسباب خاصة.
[قال: وقد ذكَرَ لنا أنَّ النَّبي ﷺ كان ليلة أُسري به إلى المسجد الأقصى نائماً في بيت أم هانئ ابنة أبي طالب. ذكَرَ من قال ذلك: حدَّثنا ابن حميد، قال: ثنا

ذكرت روايةُ حديث أسطورة المعراج السادس في صحيح مُسلمٍ (وروايةُ البخاري الثانية)، وروايةُ البخاري الأولى، أنَّ صدرَ مُحمَّد قد شُقَّ، وأورد مُسلمٌ عباراتٍ مبنيَّة للمجهول: «فأُتيتُ فانطُلق بي .... فشُرح صدري»، أمَّا روايةُ البخاري الأولى، فأوردت العباراتِ أيضاً: «أتاني آتٍ .... فشقَّ ما بين .... إلى آخره»، حيثُ حافظت روايةُ البخاري الثانية على أثرٍ قديمٍ لتحديدِ مكان الشقِّ بدقَّة، وهو الجزءُ المحذوف من روايةِ البخاري الأولى: ثمَّ طُهِّرَ القلبُ ومُلِئ إيماناً «وحكمة» من طستٍ من ذهب، ثمَّ أُعيدَ في مكانه، ويعقُب ذلك المعراجُ.

ذِكر ماءُ زمزم في حديث مُسلمٍ، ورواية البخاري الثانية محتوياً على «حكمة» أيضاً، زيادةً عن روايةِ البخاري الأولى، إذ تعودُ هذه الإضافاتُ إلى رواياتٍ أخرى.

من السهل إذن إدراكُ أنَّ أسطورة شقِّ الصدر للمعراج بدأت تتَّجهُ نحو طابعٍ موجز جداً وموحَّدٍ تقريباً، غيرَ أنَّ عبارةَ: «أن (نبي الله ﷺ) حدَّثهم عن ليلة أُسريُ به» استهلت الحديثَ، وظهرت في

سلمة، قال: ثنا مُحمَّد بن إسحاق، قال: ثني مُحمَّد بن السائب، عن أبي صالح باذام، عن أم هانئ بنت أبي طالب، في مسرى النَّبي ﷺ، أنها كانت تقول: ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثمَّ نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله ﷺ فلما صلّى الصبح وصلّينا معه قال: «يا أم هانئ لقد صلّيت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثمَّ جئت بيت المقدس فصلّيت فيه، ثمَّ صلّيت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين» وقال آخرون: بل أسري به من المسجد، وفيه كان حين أسري به. **جامع البيان في تأويل القرآن**، 14: 413-414، المترجم].

روايةِ البخاري الأولى فقط، ولم تظهرْ في حديثِ مُسلم، أو روايةِ البخاري الثانية، وتبدو كأنَّها أُضيفت للتأكيدِ على دلالةِ الأسطورة الجديدة، وهي إشارةٌ إلى الفترةِ التي رُويَ الحديثُ فيها لأوَّلِ مرَّةٍ تمهيداً للأسطورة اللاحقة، لذا حافظت روايةُ البخاري الأولى عليها مع تفاصيلَ قديمةٍ أخرى، ولكنَّها حُذفت أثناءَ نقلِ الرواية إلى حديث مُسلم، ورواية البخاري الثانية، ومن هنا يدلُّ أُسلوبُ رواية البخاري الأولى على أنَّ الأسطورة كانت قد اعتُبرت أسطورةَ بعثة فيما مضى، كما أن تفاصيلَها ودقائقَها تكشفُ عن نزعةٍ خاصَّةٍ لإبقاء الأسطورة نصّاً مُستقلاً، ممَّا أدَّى إلى حذفها في الحديثِ اللاحق.

وردت في حديثِ مُسلم ورواية البخاري الثانية، عباراتٌ ترجعُ إلى دلالةِ أسطورة شقِّ الصدر باعتبارها أسطورةَ بعثةٍ مُستقلَّة، وهي عباراتُ الكائن الغيبي عند مُسلم: «أحدُ الثلاثة بين الرجُلين»، و«رجُلاً بين الرجُلين» في رواية البخاري الثانية، إنَّ المحلَّ الملائمَ لهذه العبارات هو في رواياتٍ، مثلِ تلك الموجودةِ في رواية الطبري الأولى[1]، ورواياتِ سليمان بن بلال، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، حيثُ اصطُفي مُحمَّد فيها من بينِ رجال آخرين، أي بكلمة أخرى: تدلُّ هذه العباراتُ على أسطورة بعثة[2].

وبناءً على ذلك، فبإمكاننا أن نستنتجَ، من حديثِ مُسلم ورواية البخاري الثانية، أنَّ دمجَ أسطورة شقِّ الصدر بأسطورةِ المعراج قد

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 1154-1155.

(2) راجع الصفحة 53-54 والصفحة 60.

نُسِب إلى قَتادة (تُوفِّيَ سنة 112هـ، أو سنة 117هـ، أو سنة 118هـ) فيما بعد، وذلك موافقةً لرأي سائد آنذاك وإثباتاً له، أو من الراجحِ أنَّ قَتادة نفسه قد جمعَ بين الأسطورتين، فرواةُ الحديث بعدَه مُختلفون، ويبدو أنَّ الراويَ المُشترك في رواية البخاري الأولى ومُسلم (ورواية البخاري الثانية) قديمٌ جداً[1]، فلا بدَّ إذن من أن تكونَ الاختلافاتُ، بين حديث مُسلم ورواية البخاري الأولى، أقدمَ من الجزءِ الأخير من القرن الأوَّل للهجرة، وتشيرُ مُقارنةُ الرواة، بناءً على نسخ الطبري لرواية مُسلم[2]، إلى أنَّ سعيدَ بن أبي عروبة (تُوفِّيَ سنة 155هـ) سرَدَ روايةَ حديثِ مُسلم بشكلٍ مختلفٍ عن رواية البخاري الأولى، ونصلُ مرَّةً أخرى إلى نتيجةٍ، مفادُها أنَّ فكرةَ التطهير للبعثة كانت موجودةً منذُ حوالي عامِ مائة للهجرة.

نلاحظُ اعتمادَ نصِّ رواية البخاري الأولى على رواية أسطورة شقِّ الصدر في سنِّ الطفولة، كما في روايةِ ابن إسحاق الأولى[3]، عندَ ذكرِها كلمةَ «مُضطجعاً» بدل كلمة «فأضجعاه»، إذ كانت هذه الكلمةُ حلقةَ وصلٍ بين رواية البخاري الأولى، وحديثِ الحسن البصري الذي روى أنَّ النَّبي كان نائماً، فتغيَّرت كلمةُ «مُضطجعاً» إلى: «بين النائم واليقظان» فيما بعد عند مُسلم وفي رواية البخاري الثانية، في بداية القرن الثاني للهجرة؛ وذلك بتأثير رواياتٍ، مثلِ

(1) [مالك بن صعصعة عن النبي. المترجم].

(2) الطبري، تفسير الطبري، 15: 3.
[جامع البيان في تأويل القرآن، 14: 414. المترجم].

(3) [راجع الفصل الأوَّل الصفحة 25-26. المترجم].

تلك التي عند الحسن البصري، حيثُ ذكَرَ قتادة أنَّ النَّبي كان «مُضطجعاً» فقط، أمَّا عند الواقدي ـ ابن سعد، فهو نائم[1]، فقد كان نصُّ أسطورة شقِّ الصدر عند مُحدِّثينَ عن قتادة آنذاك قريباً من نصِّ رواية البخاري الأولى.

اعتُبر أنسُ بن مالك، في كتب الحديث الصحيح، مرجعاً أساسياً لجميعِ روايات أسطورة شقِّ الصدر وتطهير القلب للمعراج، وافتُرِض أنَّه روى عن النَّبي مباشرةً، أو عن أبي ذرٍّ، أو عن مالكِ بن صعصعة في رواية الأسطورة الأوسع انتشاراً، وذُكرَ أيضاً راوياً في حديثِ أسطورة المعراج الثالث عند مُسلم ـ ابن سعد، وحديث أسطورة المعراج الأوَّل عند مُسلم مع أسطورة الإسراء ليلاً إلى أورشليم، ومع ذلك، فإنَّ القول: إنَّ اختلافاتِ تلك الروايات تعودُ إلى رواية أنسِ بن مالك، لأنَّه روى دمجَ الأسطورتين، لن يكون مُسوَّغاً، بل على العكس؛ نظراً إلى أنَّ أنس كان حيّاً قبل سنتي سبعين وثمانين للهجرة[2]، وأنَّه لم يُذكر في كل روايات أسطورة شقِّ الصدر وتطهير القلب تمهيداً للمعراج، حيثُ لم يرد اسمه في روايتي ابن هشام الأولى، والثانية (وعند ابن سعد، وفي رواية تاريخ الطبري كذلك)[3]، ولا في رواية

(1) [«نائم في بيته ظهراً» في حديث: «ذكر المعراج وفرض الصلوات». الطبقات الكبرى، 1: 166. المترجم].

(2) [ولد أنس سنة 10 ق.هـ وتُوفِّيَ سنة 93هـ، كما مرّت بنا ترجمته. المترجم].

(3) سيرة ابن هشام، صفحة 105 و106، طبقات ابن سعد، 1: 96، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 972، 12-18.
[الحديث الوارد في: ذكر علامات النُّبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى

الطبري الأولى[1]، فمن الواضح أنَّ أنس بن مالك كان على صلةٍ بالأسطورة؛ كونها مُرتبطة مُسبقاً بأسطورةِ المعراج، إذ ليس من المُمكن أن تكونَ لديه كلُّ هذه الرؤى؛ لأنَّه لم يُذكر في مصادر روايات أسطورة شقِّ الصدر وتطهير القلب كلِّها، باستثناء كتب الحديث الصحيح كما ذكرنا.

الخُلاصة

بيَّن البحثُ في روايات أسطورة شقِّ الصدر، في كتب الحديث الصحيح، أنَّ الرواية السائدة المُهيمنة هي تلك التي تدمجها بأسطورةِ المعراج، والروايةُ الأشهر منها هي روايةُ الحديث عن مالك بن صعصعة، بإسنادٍ مختلفٍ في أربعةِ أحاديث من أحاديث الأسطورة الستة.

وأنَّ رواية أسطورة شقِّ الصدر، في طفولة مُحمَّد، ورَدَت في كتب الحديث الصحيح أيضاً، بعد أنَّ بيَّنا، من خلال مقارنة الروايات: أنَّ نصَّها عند مُسلم أحدثُ من ذلك الذي كان عند ابن سعد، وقد تغيَّر مضمونُها الأصلي، من حيثُ إنَّها كانت أسطورةَ تمهيدٍ للبعثة، فصارت تمهيداً للمعراج، وإنَّ أهلَ السُّنَّة والجماعة استحدثوا دلالةَ الأسطورة الأخيرة.

ولم تبدُ أسطورةُ شقِّ الصدر قبل البعثة «إشارةً» إلى النُبُوَّة في

إليه. **الطبقات الكبرى**، 1: 119. وحديث حليمة السعدية. **تاريخ الطبري**، 2: 158-162، المترجم].

(1) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 1: 1154-1155.

كتب الحديث الصحيح، حيثُ تُركت هـذه الإشـارةَ، لتكونَ الأسطورةُ مقدِّمةً للمعراج، ممَّا يعني أن شقَّ الصدر حدثَ بعد البعثة، ويُظهِرُ حديثُ سليمان بن بلال، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، أنَّ المعراج كان «قبل أن يُوحى»، اعتراضاً على هذا التاريخِ، فقدَّم الطبري تسويةً، بحلٍّ وسط[1].

(1) انظر الصفحة 138 وما يليها.

الفصل الثالث

أسطورة شقّ الصدر
والآية الأولى من سورة الانشراح

كانت صيغُ الأفعال، في حديثِ أسطورة المعراج السادس في صحيحِ مُسلمٍ، مبنيَّةً للمجهول[1]، كذلك صيغةُ: «فانطُلِقَ بي». مع أنَّ هذه كانت بصيغةِ المبنيِّ للمعلوم: (فانطلقوا) في حديث أسطورة المعراج الثاني عند مُسلم[2]، أمّا صيغُ الأفعال المبنيَّة للمجهول الأخرى، في حديث مُسلم السادس، فهي: «فأُتيت بطستٍ من ذهبٍ، فشُرح[3] صدري، فاستُخرِج قلبي، فغُسِل بماء زمزم، ثمَّ أُعيدَ مكانَه، ثمَّ حُشيَ، ثمَّ أُتيتُ بدابَّةٍ»، في حين أنَّ أفعالَ الحديث نفسِه عند البخاري (رواية البخاري الأولى)[4] ظهرت بأسلوبٍ مُميَّز، حيثُ كانت في بدايتِه بصيغة المبنيِّ للمعلوم: «أتاني آتٍ، فشقَّ، فاستخرج»، ثمَّ بدأت صيغُ المبنيِّ للمجهول بالظهور فجأةً بعد ذلك، عندَ عبارة: «ثم أُتيتُ بطستٍ من ذهبٍ»، ثمَّ «فغُسل، ثمَّ حُشي، ثمَّ أُعيد، ثمَّ أُتيتُ بدابَّةٍ»، وبناءً على ذلك يتَّضحُ أنَّ صيغَ الأفعال المبنيَّة للمجهول الآتية: «أُتيتُ

(1) [«فأتيت فانطُلق بي». صحيح مُسلم، 1: 149. المترجم].
(2) [«أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم. فشرح عن صدري. ثمَّ غسل بماء زمزم ثمَّ أنزلت». صحيح مُسلم، 1: 147. المترجم].
(3) ورد «فشقَّ» في رواية البخاري الأولى.
(4) [«بينما أنا في الحطيم ... إذ أتاني آت ... فشق ... فاستخرج قلبي، ثمَّ أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً، فغسل قلبي، ثمَّ حشي ثمَّ أعيد، ثمَّ أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض». صحيح البخاري، 3: 410. المترجم].

بطستٍ من ذهبٍ، فغُسِل، ثمَّ حُشيَ، ثمَّ أُعيد، ثمَّ أُتيت بدابَّةٍ»، مُشترَكةٌ عند مُسلمٍ والبخاري (رواية البخاري الأولى).

بإمكاننا أنَّ نستنتجَ، من هذه المعلومة، أنَّ صيغةَ بناء هذه الأفعال للمجهول كانت مُعتمَدةً في القرن الثالث للهجرة، إلى حدِّ أنَّ البخاري (رواية البخاري الأولى) قد استخدمَها، وإن جاء خلافُها في مُقدِّمة الأحاديث، وقد مثَّلت هذه الصيغُ طوراً إضافياً آخرَ في تطوُّرِ أسطورة شقِّ الصدر، أملته دواعٍ عقائديةٌ، لكنَّها لم تُغيِّر مُقدِّمةُ الحديث، أو جزءَ الرواية الأوَّل؛ بسببِ طابعهِ القديم، وبناءً عليه يبدو أنَّ جزء رواية الحديث الأوَّل عند البخاري، في رواية البخاري الأولى، قد مثَّل روايةً قديمةً معروفةً للأسطورة، حيثُ تجوَّلت الملائكةُ بحريَّةٍ في الأسطورة المُعتمَدة، وشقَّت صدرَ النَّبيِّ، واستخرجت قلبَه، وما إلى ذلك، بينما ورَدَت صيغُ الأفعال المبنيَّة للمجهول في روايةِ الأسطورة الأحدث، عندما جاءت عبارةُ: «ثم أُتيتُ بطستٍ»، ذلك لأنَّ مضمونَ هذا الجزء كان مرتبطاً باستخدام الصيغ المبنيَّة للمجهول.

ووردت صيغُ المبنيِّ للمعلوم أيضاً في حديث أبي ذرٍّ (حديث أسطورة المعراج الخامس عند مُسلم)(1)، حيثُ الاختلافاتُ مُلفتة للنظر فيه؛ مُقارنةً برواية البخاري الأولى، فكان جبريلُ فقط في محلِّ الفاعل: فرجَ، غسلَ، جاءَ، إلى آخره، عدا صيغةً، ورَدَت مرةً

(1) [«فرج سقف بيتي وأنا بمكة. فنزل جبريل ﷺ. ففرج صدري. ثمَّ غسله من ماء زمزم. ثمَّ جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً. فأفرغها في صدري. ثمَّ أطبقه. ثمَّ أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء». صحيح مُسلم، 1: 148. المترجم].

واحدة في عبارة: «فُرِج عن سقف بيتي»[1]. وأرى أنَّ هذه العبارةَ كانت أساساً بصيغة المبني للمعلوم؛ لكنَّها جاءت من أجلِ التعميةِ على بقايا سمات الأسطورة القديمة، وقد مثَّل حديثُ شقِّ السقف، عند مُسلمٍ، بلا شكٍ مرحلةً أقدمَ، وأوسعَ انتشاراً من مرحلة حديث أسطورة المعراج السادس الذي استُبعدت فيه كثيرٌ من السمات القديمة الموجودة في رواية البخاري الأولَى، أمَّا حديث أسطورة المعراج الثاني عند مُسلم، فكان مُحيِّراً، من حيثُ إنَّ جميعَ صيغ أفعاله مبنيَّةٌ للمجهول، باستثناء عبارة: «فانطلقوا بي»، وقد أصبحت مبنيةً للمجهول: «فانطُلق بـي»، في حديث أسطورة المعراج السادس، كما ذكرنا سابقاً.

يبدو اتِّصـالُ سند حديث أسطورة المعراج السـادس، عن مُحمَّد بن المُثَنَّى، عن ابن أبي عدي، عن سعيد[2]، عن (قَتادة إلى آخره) عند مُسلمٍ ـ حديثَ العهد، إذ تخطَّى سند رواية البخاري الأولى، عن هُدبة بن خالد، عن هَمَّام بن يحيى[3]، عن (قَتادة)، بالإضافة إلى أنَّ مسلماً ذكَرَ، في حديث أسطورة المعراج السابع[4]،

(1) راجع صيغة الفعل المبني للمجهول عند ابن سعد «فُـرِج». [«لقد ضُمَّ صاحبكم ضمة ثمَّ فُرِج عنه». **الطبقات الكبرى**، 3: 328. المترجم].

(2) راجع الصفحة 94.

(3) راجع الصفحة 92.

(4) [حدَّثني مُحمَّد بن المثنى. حدَّثنا معاذ بن هشام. قال: حدَّثني أبي عن قتادة. حدَّثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: فذكر نحوه. وزاد فيه «فأتيت بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً. فشقّ من النحر إلى مراق البطن. فغسل بماء زمزم. ثمَّ ملئ حكمة وإيماناً». صحيح مُسلم، 1: 151. المترجم].

مُحدِّثاً مُختلفاً عن حديثِ أسطورة المعراجِ السادس هو مُعاذ بن هشام[1]، عن أبيه[2]، عن (قَتادة)، ليحلَّ محلَّ ابن أبي عدي وسعيد، واحتوى على إضافاتٍ طفيفة، إلا أنَّ جميعَ صيغ الأفعال المبنيَّة للمجهول فيه، بما فيها الفعل: «شُقَّ»، («شُرِح» في حديث أسطورة المعراج السادس)، وقد جاء «شَقَّ» في رواية البخاري الأولى، مع أنه «شُقَّ» المبني للمجهول في رواية البخاري الثانية[3]، لقد كان استخدامُ صيغةِ البناء للمجهول المُطَّرِدُ ثمرةَ تأثيرِ عقيدةٍ شائعةٍ، وهو ما يُثبتُ تداولَ الأسطورة، لفترةٍ طويلةٍ، لدى هؤلاء المُحدِّثين.

لم تندثر الرواياتُ القديمة[4]، وبقيت في كتبِ الحديث الصحيح، حيثُ يُبيِّنُ تضاربُ روايات الأسطورة المُختلفة فيها تغيُّرَ المراحلِ الدينيَّة، فمن السهلِ إثباتُ أنَّ صيغ الأفعال المبنية للمجهول جديدةٌ، ولم تكن مُستخدمةً من قبلُ، فالأحاديثُ المحتويةُ عليها تقدِّمُ نصّاً مُتطوِّراً أكثرَ من تلك المحتويةِ على

(1) تُوفِّيَ سنة 200هـ، ابن حجر، تهذيب التهذيب، 10: 196-197.
[معاذ بن هشام بن أبي عبد الله سنبر، الإمام، المُحدِّث، الثقة، حدَّث عن: أبيه هشام الدستوائي، فأكثر، قيل: مات سنة مائتين. سير أعلام النبلاء، 9: 372-373. المترجم].

(2) [هشام الدستوائي بن سنبر البصري، هو الحافظ، الحجة، الإمام، الصادق، قيل: مات سنة اثنتين وخمسين ومائة، وقيل: سنة ثلاث وخمسين ومائة، وقيل: مات سنة أربع وخمسين. سير أعلام النبلاء، 7: 149-155. المترجم].

(3) [«فأتيت بطست من ذهب ... فشق من النحر ... ثمَّ غسل البطن بماء زمزم، ثمَّ ملئ حكمة وإيماناً». صحيح البخاري، 3: 173. المترجم].

(4) [روايات أسطورة شقِّ الصدر في طفولة النبي. المترجم].

صيغ الأفعال المبنية للمعلوم، مثلَ ذلك الذي أمسك فيه جبريل الصبي، فشقَّ عن قلبه، فاستخرج منه علقةً ...، أو ذلك الذي دخل فيه جبريل البيت من خلال السقف، وهو ما يتَّضحُ كُلَّما ظهرت رواياتٌ مُتضاربةٌ مُختلفةٌ في مجموعةٍ واحدة من مجاميع الأحاديث، إذ لا يمكنُ أن ينتقلَ التطوُّر من الرواية الأحدث إلى الأقدم، إن كانت صيغ الأفعال تُمثِّل أشكالاً مختلفة من تطوُّر الأسطورة، وهو ما يتَّفق عليه الجميع، ومن ثَمَّ فطابعُ العقيدةِ المُضافُ باستخدامِ الصيغ المبنيَّة للمجهول واضحٌ بيِّنٌ في كتب الحديث الصحيح.

ويدلُّ تزامنُ صيغ الأفعال المبنية للمجهول، والمبنية للمعلوم في كتب الحديث الصحيح من ناحيةٍ أُخرى، حيثُ أجمعت عليهما العقيدةُ القائمة ـ على أنَّ رفض تجسيم الغيب[1] لا يمكن أن يكونَ السببَ الوحيد وراء استخدامِ صيغ الأفعال المبنية للمجهول، فالتجسيمُ موجودٌ في كتب الحديث الصحيح، ومُجمعٌ عليه أيضاً، ولم يقلِّله الحذف أو الإضافة، مُقارنةً بنصوصِ الرواية الأصليَّة[2]، فلم يُرفض تجلِّي جبريل الذي حلَّ محلَه رجلان، أو ثلاثة رجال في أحد الأحاديث أيضاً[3]، باستثناءِ مرَّةٍ واحدة فقط

(1) [بمعنى إسباغ الصفات والمشاعر والنوايا البشرية على الكيانات غير البشرية. المترجم].

(2) راجع حديث أسطورة المعراج الثالث عند مُسلم، ورواية ابن إسحاق الثانية.

(3) حديث أسطورة المعراج الرابع عند مُسلم، كذلك في صحيح البخاري وعند الطبري، تفسير الطبري، 15: 3-4. راجع الصفحة 18 وما يليها.

(في حديث أسطورة المعراج الثاني عند مُسلم)، فما تزال صيغةُ الجمع «فانطلقوا» (وليس صيغة المُثنّى) باقيةً، ومن ثَمَّ نجدُ العبارةَ القديمة: «جاء أحدهم» (أتاني آتٍ) المألوفة عند ابن سعد[1] في إحدى روايات كتب الحديث (رواية البخاري الأولى)[2]، حيثُ استُبدِلت كلمةُ: «أحدهم» بجبريل عند مُسلم[3]، لذا لا بدَّ من أن نبحثَ عن أسبابٍ مُحدَّدة لاختفاء جبريل بالكامل من جميعِ الأحاديث، وهو ما يُعتبر نموذجاً للتطوُّرِ الحاصلِ في كتب الحديث.

لماذا اختفى المبعوثُ الإلهيُّ في هذه الأحاديث؟.

تتميَّز هذه الأحاديثُ بنمطٍ آخرَ، غيرِ نمط مجاميع الأحاديث الأُخرى، في كتبِ الحديث الصحيح، حيثُ ربطت هذه الأحاديثُ أسطورة شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب بالبعثة، أو بالمعراج (حديث أسطورة المعراج الثاني عند مُسلم)، ممَّا يعني أنَّ جميعها عدَّت الأسطورةَ تمهيداً للبعثة في الأساس، إلا أنَّ نمطها هذا ليس كافياً لشرحِ استخدامِ صيغ الأفعال المبنية للمجهول، واختفاءِ جبريل منها؛ نظراً إلى ذكر المبعوث الإلهي في بعض هذه الأحاديث

[حديث: «أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه». صحيح مُسلم، 1: 148. وحديث «جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه». في صحيح البخاري، 3: 308. وفي جامع البيان في تأويل القرآن، 14: 416. المترجم].

(1) طبقات ابن سعد، 1: 97، 99.

[«كان يلعب مع الصبيان فأتاه آت». الطبقات الكبرى، 1: 120. المترجم].

(2) [«بينما أنا في الحطيم، وربما قال في الحجر، مضطجعاً، إذ أتاني آت». صحيح البخاري، 3: 410. المترجم].

(3) [«أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان». صحيح مُسلم، 1: 147. المترجم].

أيضاً، منها روايةُ دخولِ جبريل إلى البيت من خلال السقف، في الحديث السابق، إلا أنَّ نمطاً فريداً واحداً للتحوُّل إلى استخدام صيغ الأفعال المبنية للمجهول يُوجد فيها على الدوام حسبما أرى، وهو تغييرُ الفعل «شَقَّ»، أو «فَرَجَ» (فَلَقَ) إلى «شُرِحَ» (عن صدري)، وطالما تلت كلماتُ: «صدر» أو «بطن» أو «قلب» أو «ما بين» وغيرها الفعلين: «شَقَّ» أو «فَرَجَ»، فإنَّ الفعل «شُرِحَ» دائماً ما يأتي مع كلمةِ: «صـدري»، إذ لم يُذكر هذا الفعل في روايات الأحاديث القديمة بتاتاً، حالُه حالُ صيغ الأفعال المبنية للمجهول.

المؤكَّد أنَّ اقترانَ استخدام الفعل «شَرَحَ» بكلمة «صدر»، راجعٌ إلى ارتباطِ أسطورة شقِّ الصدر بالآية الأولى من سورة الانشراح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، فقد رأى كلٌّ من ألويس شبرنغر وفرانتس بوهل ـ هانز هاينريش شيدر أنَّ الأسطورةَ نشأت بمجردِ تأويل هذه الآيـة[1]، وعلى الرُّغمِ من كونه رأياً مُستبعداً، إلا أنَّ هذا الارتباطَ لفت انتباهَ شريكه خاصَّةً، فرأى أنَّ عبارة: «شَرح صدره» هي مُطَّردةٌ مألوفةٌ في القرآن[2]، لكنَّه لم يكن على صواب، إذ لم تظهر هذه العبارةُ أكثرَ من خمس مـرَّاتٍ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ...﴾[3]، و﴿...وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا...﴾[4]، و﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾[5]، و﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ

(1) شبرنغر، حياة مُحمَّد، 1: 168-169، وبوهل-شيدر، سيرة مُحمَّد، الصفحة 117.
(2) شريكه، معراج مُحمَّد في مجلة الإسلام، 6، 1915، الصفحة 1-2.
(3) سورة الأنعام: الآية 125.
(4) سورة النحل: الآية 106.
(5) سورة طه: الآية 25.

صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ... ﴾[1]، و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[2]، إلى جانب ذلك لم ترد الدلالةُ المقصودةُ، شقُّ الصدر، في الآياتِ الأربعِ الأولى، وذلك بالنظر إلى تتمَّة الآياتِ بكلمات: «للإسلام» أو «بالكفر» في الأولى والثانية والرابعة، أمَّا الآيةُ الثالثة، فهي بخُصوصِ مُوسَىٰ، ولم ترد الدلالةُ المقصودةُ فيها أيضاً، إذن فالآيةُ الأولى من سورة الانشراح هي الوحيدةُ في القرآن التي ذكَرَت «شقَّ» صدر مُحمَّد.

يُفضي هذا، مع استخدامِ عباراتٍ قريبة في المعنى، إلى احتمالِ تأثُّر أسطورة شقِّ الصدر بالسورة، ويصبحُ هذا الاحتمال يقيناً، عندما يُشير ذلك إلى أنَّ استخدام الفعل «شُرِح» يختلف عن استخدام الفعل «شَقَّ» أو «فَرَج» (فَلَق) في الأسطورة؛ كون الفعل «شَرح» لا يُفيد معنى «فَتح» أو معنى «شَقَّ» على وجه الدقَّة، بل يعني «وسَّع» و«كَبَّر» و«مدَّد» و«امتدَّ»، وربَّما يدُلُّ على «فَتح» و«أظهر» و«شَرح» بصورةٍ مجازية[3]، ويدُلّ دائماً على قطعٍ بنمطٍ مُعيَّن، عندما يُستخدمُ بمعنى «قَطع» مع كلمة «بدن» أو «لحم» مفعولاً به[4]، غير أنَّ هذه الدلالةَ غيرُ واردة في سياق أسطورة شقِّ الصدر، وتوجد دلالة أخرى للفعل بمعنى: «فتح شيئاً، أو مادةً من أي نوعٍ»، وبناءً عليه، فإنَّ المعنى اللُغويَّ الدقيق لعبارة: «شَرح الصدر» هو: «وسَّع الصدر»، وذلك لتقبُّل شيءٍ، أو «إزالة الهمِّ والغمِّ منه»[5]، مادام بالإمكان استخدامُ

(1) سورة الزمر: الآية 22.
(2) سورة الانشراح: الآية 1.
(3) انظر «بيان وتفسير» كلمة شَرْح. لين، مد القاموس، 1: 1530.
(4) لين، المصدر نفسه، 1: 1530، عمود ب.
(5) الرازي، تفسير فخر الدين الرازي، 8: 455.

ذلك في الأسطورة، لذا لا يمكن أن تكونَ الآيةُ القرآنية هي السبب في نشوء الأسطورة، فلا بدَّ من أنَّ استخدامَ عبارة: «شُـرِح عن صدري» في الحديثِ الأخير هو نتيجةُ تأثيرِ النصِّ القرآني على أسطورةٍ موجودةٍ من قبلُ.

بناءً على ذلك بإمكانِنا الآنَ فهمُ استخدام صيغ الأفعال المبنيَّة للمجهول؛ لأنَّ فاعلَ الفعل «شَـرح» في الآية القرآنية هو ضميرُ المُتكِّلم «نحن» المُعبِّر عن الذاتِ الإلهية، ولا يمكنُ للذاتِ الإلهية أن تظهرَ مُتجسِّدةً باعتبارها رسولاً؛ لأنَّ جبريلَ هو الرسول بين الله والنَّبي، ولكنَّه لم يكن رسولاً في الآيةِ الأولى من سورة الانشراح، فلم يكن هو الذي وسَّع «شَـرح» صدرَ النَّبي، ووَضع عنه وزره، ورَفع له ذكره، بل كان الله نفسَه، وهو خفيٌّ مُستتر، والأفعالُ المبنيَّة للمجهول هي الصيغةُ الوحيدة المُستخدمة في اللغة العربية، عندما يكونُ الفاعل مُستتراً، أو يجب أن يكونَ كذلك.

إذن لا شكَّ في أنَّ الأحاديث التي فيها صيغُ الأفعال المبنية للمجهول، وعبارة «شُرِح عن صدري»، تبيَّن تداخُل أسطورةِ شقِّ الصدر مع الآيةِ الأولى من سورة الانشراح، ونعلم يقيناً أنَّ هذه الآيةَ كانت قد فُسِّرت استناداً إلى الأسطورةِ في كتب تفسير القرآن اللاحقة لتفسير الطبري، كما في مُناظرات فخر الدين الرازي[1] مع القاضي عبدِ الجبار المعتزلي (تُوفِّيَ سنة 415هـ/1025م)[2]،

[تفسير فخر الدين الرازي، 32: 206، المترجم].

(1) [محمد بن عمر بن الحسن (544-606هـ/1150-1210م)، الإمام المفسر، مولده في الري، وفاته في هراة. الأعلام، 6: 313. المترجم].

(2) [عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار (تُوفِّيَ سنة 415هـ/1025م)، شيخ =

أحد آخر المعتزلة[1] البارزين[2]، حيثُ فُسِّر نصُّ الآية على ذاك المنوال منذ حوالي عام 1000م[3]، غيرَ أنَّنا نجدُ ارتباطَ الأسطورة مع الآية في وقتٍ أبكرَ عند الترمذي فقط (تُوفِّيَ سنة 279هـ/892م)، في كتابه سُنن الترمذي، «أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة ألم نشرح»[4]، إذ لم يعتمد المُفسِّرون على ارتباطِ

المعتزلة في عصره، ولي القضاء بالري، ومات فيها. **الأعلام**، 3: 273-274. المترجم].

(1) [المعتزلة فرقة كلامية إسلامية ظهرت في أخريات القرن الأوَّل الهجري وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها في كثير من الآراء إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري. **الموسوعة العربية الميسرة**: 3164. المترجم].

(2) بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ملحق 1: 343.

(3) [وفي شرح الصدر قولان: الأول: ما روي أنَّ جبريل عليه السلام أتاه وشق صدره وأخرج قلبه وغسله وأنقاه من المعاصي ثمَّ ملأه علماً وإيماناً ووضعه في صدره. واعلم أنَّ القاضي طعن في هذه الرواية من وجوه: **أحدها**: أنَّ الرواية أنَّ هذه الواقعة إنما وقعت في حال صغره عليه السلام وذلك من المعجزات، فلا يجوز أن تتقدم نبوته. **وثانيها**: أنَّ تأثير الغسل في إزالة الأجسام، والمعاصي ليست بأجسام فلا يكون للغسل فيها أثر. **ثالثها**: أنه لا يصح أنَّ يملأ القلب علماً، بل الله تعالى يخلق فيه العلوم. **والجواب**: عن الأول: أنَّ تقويم المعجز على زمان البعثة جائز عندنا، وذلك هو المسمى بالإرهاص، ومثله في حق الرسول عليه السلام كثير. **تفسير فخر الدين الرازي**، 32: 205. المترجم].

(4) [حدَّثنا مُحمَّد بن بشار قال: حدَّثنا مُحمَّد بن جعفر، وابن أبي عدي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، رجل من قومه، أنَّ النَّبي ﷺ قال: «بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلاً يقول: أحد بين الثلاثة، فأتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا - قال قتادة: قلت لأنس بن مالك: ما =

الأسطورة بالآية في وقتٍ أقدمَ بعد الطبري، فيبدو من أسلوب الأسطورة، في كتب الحديث الصحيح، أنَّ تفسيرَ الآية هذا أقدمُ بحوالي مائتي عام عند بعض المُحدِّثين، فهؤلاء هم مَن استحدثَ ذلك الارتباط، مثلُ أولئك الذين كانوا وراءَ دمجِ أسطورة شقِّ الصدر وتطهير القلب بأسطورةِ المعراج، ومن دون شكٍّ، فقد تطوَّر الارتباط في فترةٍ ما، إلى أن ظهر لأوَّل مرَّةٍ عند الرازي (تُوفِّيَ سنة 1209م)، وعندَ بعض المُحدِّثين أيضاً.

بعضُ المُفسِّرين فسَّروا آياتِ سورة الانشراح، منذ وقت طويل، قبل تفسيرِها في كتب الحديث الصحيح، إذ فُسِّرت الآيةُ الأولى منها وما يليها، بأنَّ الله شرحَ صدرَ النَّبي للهُدى والإيمان به ومعرفةِ الحقِّ، وليَّنَ قلبه، وجعله وعاءً للحكمة، وغفرَ له ما سلفَ من ذنوبه، وحطَّ عنه ثقلَ آثام الوثنية التي كان فيها، وهيَّأه لتلقِّي الوحي[1]، وذلك بما يتَّفقُ كُليّاً مع الرأي القائل بعصمة النَّبيِّ، بمعنى أنَّ عبارة: «شَرْح الصدر» فُسِّرت آنذاك بأنَّها «فتحٌ» للهُدى، و«إزالةٌ للعبء» تجاوزاً عن ذنوبِ عبادة الأصنام (الجاهلية)، وقد ذُكِرت هذه الذنوبُ صراحةً، وسُمِّيت بـ «الشرك» في حديثٍ عند

يعني؟ ـ قال: إلى أسفل بطني، فاستخرج قلبي، فغسل قلبي بماء زمزم، ثمَّ أعيد مكانه، ثمَّ حشي إيماناً وحكمة» وفي الحديث قصة طويلة: «هذا حديث حسن صحيح» وقد رواه هشام الدستوائي، وهمام، عن قتادة وفيه عن أبي ذر. سنن الترمذي، 5: 442. المترجم].

(1) الطبري، تفسير الطبري، 30: 150، وصحيح البخاري، تحقيق لودولف كريل، 3: 379.
[جامع البيان في تأويل القرآن، 24: 492، وصحيح البخاري، 4: 392، المترجم].

الطبري[1] عن الضَحَّاك (تُوفِّيَ سنة 102، أو 105، أو 106هـ)[2]، وعند البخاري بـ «الوِزر»[3] في الجاهلية، في حديثٍ عن مجاهد (تُوفِّيَ سنة 102، أو 103هـ)[4]، لذا كان ربط أسطورة شقِّ الصدر مع الآية أمراً لا مفرَّ منه، لأنَّ الفعلَ «شَرح» يفيد معنى «فَتح»، وكلاهما بمعنى واحد، فيتَّضح أنَّ أسطورة شقِّ الصدر كانت قد مهَّدت للبعثة وللتطهير من الوثنية فقط[5]، كما يَفترِضُ ارتباطُها

---

(1) الطبري، **تفسير الطبري**، 30: 150.
[حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك، يقول، في قوله: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ [الشرح: 2] يعني: الشرك الذي كان فيه. **جامع البيان في تأويل القرآن**، 24: 493. المترجم].

(2) انظر غولدتسيهر، **مذاهب التفسير الإسلامي**، الصفحة 59. وانظر كذلك ثيودور نولدكه، **تاريخ المصاحف**، 2: 167. وابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 4: 453.
[الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني (تُوفِّيَ سنة 105هـ/723م)، مُفسِّر. كان يؤدب الأطفال. **الأعلام**، 3: 215. المترجم].

(3) [باب: تفسير سورة: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾. (الشرح). وقال مجاهد: «ووزرك» في الجاهلية. **صحيح البخاري**، 4: 392. المترجم].

(4) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، 1: 86. مثَّل اعتماد الترمذي لارتباط أسطورة شقِّ الصدر مع سورة الانشراح، إقراراً بوجهةِ نظرٍ شائعة.
[**سنن الترمذي** 5: 442. ومجاهد بن جبر (21-104هـ/642-722م)، تابعي، مُفسِّر من أهل مكة. **الأعلام**، 5: 278. وقال غير واحد تُوفِّيَ سنة ثلاث ومائة. **تذكرة الحفاظ** للذهبي، 1: 71. المترجم]

(5) الألفاظ الواضحة: «شك أو شِرك أو جاهلية أو ضلالة» التي طُهر منها النبي. الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 1: 1157.
[رواية الطبري الثانية، فغسلوا ما كان في بطنه من شك أو شرك أو جاهلية أو ضلالة. **تاريخ الطبري**، 2: 308، المترجم].

بآية سورة الانشراح الأولى دمجَها بالبعثة[1]، فالأسطورة هي التي لفتت النظرَ إلى الآية القرآنية، وليس العكس، إذ استُنِدَ تدريجيّاً على الأسطورة لتفسير الآية، كما ذكرنا آنفاً، غير أنَّ هذا التفسيرَ لم يرجِّحه المُفسرون، ورفضَه المعتزلةُ، وتركته كتب التفسير عند أهل السُّنَّة والجماعة، فعلى سبيل المثالِ لا يُشير البيضاوي إليه، إلا على مضضٍ باعتباره بديلاً أخيراً[2].

ورَدَ الفعلُ: «شَرح» بصيغة المبني للمعلوم في رواية حديثٍ لأسطورة شقِّ الصدر عند الطبري[3]، ....

(1) يُبيِّن ضعف حجة فخر الدين الرازي في تفسيره ضد خصمه القاضي عبد الجبار المعتزلي، أنه من غير المُمكن أن يؤدي تاريخ وقوع حادثة تطهير جسد النَّبي في طفولته إلى ترابطها مع الآية الأولى من سورة الانشراح.
الرازي، **تفسير فخر الدين الرازي**، 8: 454.
[**تفسير فخر الدين الرازي**، 32: 205. المترجم].

(2) [﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1] ألم نفسحه حتَّى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائباً حاضراً، أو ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل، أو بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك، وقيل إنه إشارة إلى ما روي «أن جبريل - عليه الصلاة والسلام - أتى رسول الله ﷺ في صباه أو يوم الميثاق، فاستخرج قلبه فغسله ثمَّ ملأه إيماناً وعلماً». **تفسير البيضاوي**، 5: 321. المترجم].

(3) الطبري، **تفسير الطبري**، 15: 6.
[حدَّثني علي بن سهل، قال: ثنا حجاج، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة، أو غيره شك أبو جعفر في قول الله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1] قال: جاء جبرائيل إلى النَّبي ﷺ ومعه ميكائيل، فقال جبرائيل لميكائيل: ائتني بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه وأشرح =

وهي تُذكِّرنا بروايتِهِ الأولى[1]، باستثناء أنَّ الأسطورةَ تبدو فيها تمهيداً للإسراء والمعراج، وروايتُها تُنسب إلى ابن سهل[2]، عن حجاج[3]، عن أبي جعفر الرازي[4]، عن الربيع بن أنس[5]، عن أبي العالية الرياحي[6]، عن أبي هريرة أو غيره، مضمونُها: «جاء

له صدره، قال: فشق عن بطنه، فغسله ثلاث مرات، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم، فشرح صدره، ونزع ما كان فيه من غل، وملأه حلماً وعلماً وإيماناً ويقيناً وإسلاماً، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة، ثمَّ أتاه بفرس فحُمل عليه كل خطوة منه منتهى طرفه وأقصى بصره. **جامع البيان في تأويل القرآن**، 14: 424. المترجم].

(1) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 1: 1154-1155.
[الرواية التي سبق ذكرها عن أبي ذر الغفاري في مُقدِّمة الفصل الثاني. المترجم].

(2) [علي بن سهل بن موسى من أئمة رواية الحديث، مات سنة إحدى وستين ومائتين. **سير أعلام النبلاء**، 12: 241. المترجم].

(3) تُوفِّيَ سنة 206هـ، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، 1: 315.
[حجاج بن مُحمَّد المصيصي، الإمام، الحجة، الحافظ، ترمذي الأصل، سكن بغداد، ثمَّ تحول إلى المصيصة، مات ببغداد، في شهر ربيع الأول، سنة ست ومائتين. **سير أعلام النبلاء**، 9: 447-449. المترجم].

(4) تُوفِّيَ سنة 160هـ، ثيودور نولدكه وغوتهلف بيرغشتريسر وأوتو برتسل، **تاريخ المصاحف**، 3: 94.
[عيسى بن ماهان عالم الري في الحديث، ولد بالبصرة، وعاش بالري، تُوفِّيَ في حدود سنة ستين ومائة. **سير أعلام النبلاء**، 7: 346-348. المترجم].

(5) تُوفِّيَ سنة 139هـ، أو 140هـ، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 3: 238-239.
[الربيع بن أنس بن زياد، كان عالم مرو في زمان، يقال: تُوفِّيَ سنة تسع وثلاثين ومائة. **سير أعلام النبلاء**، 6: 169-170. المترجم].

(6) قارئ قرآن من البصرة، تُوفِّيَ سنة 90هـ، ثيودور نولدكه، غوتهلف بيرغشتريسر وأوتو برتسل، **تاريخ المصاحف**، 3: 94، 165.

جبريلُ إلى النَّبيِّ، ومعه ميكائيل، فقال جبريلُ لميكائيل: ائتني بطستٍ من ماء زمزم؛ كي أُطهِّرَ قلبه، وأشرح له صدرَه، قال: فشقَّ عن بطنه، فغسَله ثلاثَ مرَّاتٍ، واختلف إليه ميكائيلُ بثلاثِ طساسٍ من ماء زمزم، فشرح صدرَه، ونزع ما كان فيه من غلٍّ، وملأه حلماً وعلماً وإيماناً ويقيناً وإسلاماً، وختمَ بين كتفيه بخاتم النُبوَّة، ثمَّ أتاه بفرسٍ فحُمل عليه، كلُّ خطوة منه منتهى طرفِهِ وأقصى بصره»، وهكذا فإنَّ الإمكانيةَ الوحيدة المقبولة لربط أسطورة شقِّ الصدر بآيةِ سورة الانشراح هي ربطها بالبعثة، حيثُ اتَّضحت آثار هذا الربط، عندما ذُكرَ في روايات الأسطورة اللاحقة، وذلك على الرُّغمِ من عدمِ إجماع أهل السُّنَّة والجماعة عليه كما تقدَّم.

أرى أنَّ هناك روايةً قديمةً لأسطورة شقِّ الصدر للبعثة[1]، تكمن وراء رواية هذا الحديث، وهو ما يتجلَّى في مُقدِّمة الحديث: إنَّ غاية حوار الملَكين برمته، جبريل وميكائيل، هو إزالة الشكِّ الماديِّ المحسوسِ من النَّبيِ، إلا أنَّ الروايةَ القديمة فقدَت نمطَ البعثة الأصليَّ، وعُدِّلت في هذا الحديثِ، فبرزت كلمة «غلّ» بدلاً من كلمة «شرك» وغيرها في رواية الطبري الثانية[2]، وهذا على

[رفيع بن مهران الرياحي، الإمام، المقرئ، الحافظ، المُفسِّر، مات سنة ثلاث وتسعين أو سنة ست ومائة. سير أعلام النبلاء للذهبي، 4: 207-213. المترجم].

(1) انظر العبارات: «نزع ما كان في صدره من غل، وملأه حلماً وعلماً وإيماناً ويقيناً، وحتى إسلاماً»، لكن الأهم من ذلك كله هو ختم النُبوَّة.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 1157.
[انظر مُقدِّمة الفصل الثاني، وانظر كذلك تاريخ الطبري، 2: 308، المترجم].

غرارِ حديث أبي هريرة في السيرة الحلبية[1]، ومن الراجح أنَّ هذه التعديلاتِ، مع الدمج بأسطورةِ المعراج قد أُجريت في الفترة ما بين عامي مائة ومائة وستين للهجرة (أبو جعفر الرازي والربيع بن أنس)[2]، ومن ثَمَّ جاءت الرواية بأسلوبها الحالي، وبالإمكان أيضاً حلُّ مسألة تغيُّر رواية الأسطورة، في رواية الطبري الثانية، حيث ظهرت الأسطورة فيها تمهيداً للمعراج أيضاً، وذلك من خلال دراسة رواتها المُختلفين، وتدقيق أحوالهم، حيث لا توجد صلةٌ بينهم في الروايتين، فهذه الرواية تكشفُ عن مرحلةِ تطوُّرٍ متأخرةٍ للأسطورة[3].

إلا أنَّ السمةَ المُميَّزة، والأكثر إثارةً للاهتمام في هذا الحديث، هي تسلُّل الكلمة الجديدة: «شَرح» إليه، فاستتبعت مجيء: «شقِّ الصدر» مرَّتين فيه، المرَّةُ الأولـى في عبارة: «فشقَّ عن بطنِه»، والثانيةُ في عبارة: «فشرح صـدره»، وقد ذُكرَ أنَّ جبريل من قام بذلك، وبالإمكانِ فهمُ هذه السمات المُثيرة للاهتمام، عند إدراك أنَّ هذه الرواية هي أحدثُ من تلك التي ظهر فيها الفعل «شُرِحَ» المبني للمجهول للمرة الأولى، وقد تأثَّر الحديث الذي ورد فيه الفعلُ: «شَقَّ» المبني للمعلوم، بتلك الأحاديث السائدة في ذلك الوقت، وفيها الفعل «شُرِح» المبني للمجهول، لكنَّ رواية الحديث القديم لم تتبدَّل، لذا ورَدَت هاتان العبارتان جنباً إلى جنب، حيثُ انتفت دوافعُ استخدام صيغ الأفعال المبنية للمجهول الأصلية، أي

(1) راجع الصفحة 54.
(2) [بالنظر إلى تاريخ وفاتهما. المترجم].
(3) وهذا أيضاً هو رأي شريكه، راجع الصفحة 20.

ترابط أسطورة شقِّ الصدر بالآية الأولى من سورة الانشراح، عندما أصبح هذا الترابط بديهياً، وهكذا صار جبريلُ في محل فاعل الفعل «شَـرح»، وهو غيرُ موجود في وقت إنشاء الربط بالسورة، واستُخدمت صيغ الأفعال المبنية للمعلوم أيضاً بعد تمهيد صيغ الأفعال المبنية للمجهول للمعراج، فلم تكن هنالك أيَّةُ مُمانعة تجاه استخدامهم، فلقد استحدثت تحت ظروفٍ مُعيَّنة في أحاديثَ مُعيَّنة، وتواترت صيغُ الأفعال المبنية للمعلوم، حينما تلاشت هذه الظروفُ. يُسبِّح مُحمَّد للّه أيضاً، في الآية السابعة من السورة[1]، الذي «شَرَحَ صَدْرَه، وَوَضَع عَنْهُ وِزْرَه، وَرَفَع لَه ذِكْرَه»، فالتمهيد إذن مُترابط مع الآية الأولى وما يليها من السورة، وهذا يكشف عن مرحلةٍ، كان فيها الترابطُ مع السورة حقيقةً لفترة طويلة، بحيثُ إنَّه تسرَّب إلى حديث الإسراء الذي يشغلُ ما لا يقلُّ عن صفحتين قبل المعراج، فيتولَّد لدينا انطباعٌ بأنَّ الآية الرابعة من السورة: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾، مُترابطة بالإسراء والمعراج أيضاً.

(1) [الآية: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾. جامع البيان في تأويل القرآن، 24: 497-500 وتفسير فخر الدين الرازي، 32: 209. المترجم].

الفصل الرابع

مراحل تطوُّر الأسطورة

لعبت عقيدةُ عصمة النَّبي وحصانته من الخطأ والزلل دوراً أساسياً في تطوُّر أسطورة شقِّ صدر محمد، وتغيُّرها في الدين الإسلامي، وقد بحث تور أندريه هذه العقيدة[1]، وأشار إلى غموضها، وتعدُّد اتجاهات الفكر الديني المُتشعِّبة واختلافها فيها، فالمسألةُ ليست هيِّنةً كما قال شريكه[2]: «كان لا بدَّ من تجميل صورة مُحمَّد، أولاً، يُنظر إليه على أنه بلا خطيئة عندما يظهر نبيّاً؛ لكي يُشار إليه فيما بعد ... إنَّه كان بلا خطيئة حتَّى في شبابه ...»، ومن ثمَّ أراد شريكه من هذا المدخل، تفسير الزعم بإرجاع الأسطورة من زمن بعثته إلى طفولته، باستثناء مسألةٍ واحدة مؤكَّدة، هي عدمُ رسوخ عقيدة عصمة النَّبي من عبادة الأصنام قبل البعثة، إلى فترة متأخرة مُعاصرة للطبري تقريباً[3]، ولا بدَّ لنا من أن نميِّز بين الذنوب الصغرى والكبرى، بما فيها عبادة الأصنام،

---

(1) تور أندريه، **مُحمَّد حياته وعقيدته**، الصفحة 124 وما يليها، وانظر كذلك غولدتسيهر، **معجم المُصطلحات الإسلامية**، الصفحة 221.

(2) شريكه، معراج مُحمَّد في **مجلة الإسلام**، 6، 1915، الصفحة 28.

(3) تفسير الآية السابعة من سورة الضحى. الطبري، **تفسير الطبري**، 30: 149. [﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: 7] ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم، وقال السدي: كان على أمر قومه أربعين عاماً. وقيل: عُني بذلك: ووجدك في قوم ضلال فهداك. **جامع البيان في تأويل القرآن**، 24: 489. إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي (تُوفِّيَ سنة 128هـ/745م)، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. **الأعلام**، 1: 317. المترجم].

فيما بين مختلف المذاهب والعلماء، وعليه فيجب أن نهتمَّ بإمكانية قيام أوساط مُعيَّنة بوضع أساس عقيدة عصمة النَّبي في طفولته قبل التدوينِ الرسميِّ لتراث الإسلام[1]، وإلا سوف تكون المسألةُ مُبهمةً، إنَّ كان علينا أن نتَّبع رأي شريكه بشأن تأريخ الأسطورة: «لماذا تحتَّم على الأسطورة، في وقت مبكر، قبل عام مائة وخمسين للهجرة (عند ابن إسحاق)[2]، أن تنتقل من بدء بعثة النَّبي إلى طفولته»، إذ لا يُمكن فهم أنَّ هذا الانتقال كان نتيجةَ النمو والتطوُّر الديني الإسلامي، أمَّا بالنسبة لابن إسحاق، فإنَّنا في موقف مؤاتٍ لفهم أنَّ الأوساط التي مثَّلها نقلت عقيدة العصمة من عبادة الأصنام إلى فترة مُبكِّرة من حياة النَّبي، وهذا ما كان مطلوباً من قبل أولي الأمر في ذلك الوقت، لذلك ذكَرَ ابن إسحاق أنَّ مُحمَّداً كان قد نبذ الوثنيَّة، عندما كان صبياً، وليس في طفولته، ويوثِّق هذا نصٌّ غيرُ منشور من سيرة ابن إسحاق الأصلية، يُبيِّن أنَّه وضع عصمة النَّبي في طفولته، ترجمه ألفرد غيوم[3]، وأغفله ابن هشام بعد حوالي سبعين سنة (تُوفِّيَ سنة 218هـ).

نشأت عقيدةُ عصمة النَّبي قبل التدوينِ الرسمي، والتحوُّل العقائدي البارز، وهو الذي تكفَّل بانتقالها ممَّا قبل بعثة مُحمَّد إلى طفولته، ومن ثمَّ فإنَّ رواية أسطورة شقِّ الصدر في سنِّ الطفولة لا علاقة لها بعقيدة العصمة، على الرُّغمِ من وجودها عند

(1) [بدأ التدوين في بداية العصر العباسي. يُنظر للتفصيل تاريخ الإسلام للذهبي، 9: 13. المترجم].

(2) [تُوفِّيَ ابن إسحاق سنة 151هـ. المترجم].

(3) غيوم، الإسلام، الصفحة 26.

ابن إسحاق، حيثُ يؤكِّد مجردُ وجود نصِّ الرواية عند ابن إسحاق، وعدم وجودها عند ابن هشام، تعذُّرَ انتقال الأسطورة، من وقت بعثة النَّبي إلى طفولته، قبل الفترة ما بين عامي مائة وواحد وخمسين، وفاة ابن إسحاق، ومائتين وثمانية عشر للهجرة، وفاة ابن هشام.

قد يكون تاريخُ أسطورة شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب، وقتَ البعثة، أقدمَ من تاريخ الأسطورة، في سنِّ الطفولة؛ نظراً إلى معرفتنا بوجودِ روايتينِ مُختلفتين للأسطورة نفسها، حوالي عام مائة للهجرة، ولا يقرِّر عدمُ ورود إحداهما في الأحاديث والروايات الأقدمِ أسبقيتَها على الأخرى، إذ ربَّما حدثَ انتقال الأسطورة، دون تأثيرِ عقيدة العصمة، ولحلِّ هذه المسألة، يجبُ علينا استعراضُ كلِّ الروايات دون انحياز.

ما نعلمه هو اعتماد أهل السُّنَّة والجماعة على رواية أسطورة شقِّ صدر مُحمَّد في طفولته، وإجماعهم عليها في الوقت نفسه الذي اعتمدوا فيه على جميعِ أساطير طفولته الأخرى(1)، باستثناءِ رواية أسطورة التمهيد للبعثة، ولا يمنعُ عدم اعتمادها وجودَها في الفترة نفسها، ونعلمُ إلى حدِّ اليقين أنَّ روايةَ الأسطورة في طفولة مُحمَّد عند أوساط أهل السُّنَّة والجماعة، هي الأقدمُ، كما في الأحاديث والروايات الموجودة حالياً، أمَّا بالنسبة إلى تاريخِ اعتماد رواية أسطورة شقِّ الصدر وتطهير القلب تمهيداً للبعثة،

(1) هورفتس، إلى أسطورة مُحمَّد، مجلة الإسلام، 5، 1914، الصفحة 41 وما يليها.

فهو وقتُ دمجها بأسطورةِ بعثة أهل السُّنَّة والجماعة المُتعلقة بوحي الآيات من سورة الانشراح الأولى، ويفترضُ هذا الاعتمادُ ضمناً وجودَها مُستقلَّةً لفترة مُعيَّنة، إلا أنَّ هذا الأمرَ مُتعذِّرٌ عند أهل السُّنَّة والجماعة، فليس لدينا أية وسيلةٍ لحلِّ هذه المسألة، إلا أن تكونَ الروايتانِ موجودتين، جنباً إلى جنبٍ، منذ البداية.

وبناءً على ذلك، فإنَّ مسألةَ أسبقية إحدى الروايتين، أسطورة شقِّ الصدر في الطفولة، وأسطورة شقِّ الصدر تمهيداً للبعثة، أو عدمها، لا أهميةَ لها، وهي خارجةٌ عن الموضوع، ولا يمكن حلُّها بأي حال من الأحوال؛ بالنظر إلى أنَّ روايةَ الأسطورة تمهيداً للبعثة تسلَّلت إلى الدينِ الإسلامي التقليدي المعروف في مرحلة لاحقة، فلا بدَّ من أن ننتهيَ إلى أنَّ روايتي الأسطورة، كما ورَدَت في الروايات والأحاديث الإسلامية، تشيرانِ إلى تاريخ نسبي، تكون فيه أسطورةُ شقِّ الصدر في طفولة مُحمَّد أقدمَ منها للتمهيد لبعثته، (أي قبل البعثة أو قبل الإسراء والمعراج)[1].

ويدلُّ وجودُ رواية أسطورة شقِّ صدر النَّبي وتطهيرِ قلبه، في طفولته، طوال مراحل تطوُّر الأسطورة فيما بعد، على تطويعِ الأسطورة تمهيداً للبعثة، وتعديلِها؛ لتتلاءمَ مع أسطورة البعثة عند أهل السُّنَّة والجماعة كما نعلم، وكان هذا التعديلُ مُمكناً فقط في ضوء عقيدة عصمة النَّبي آنذاك، (أي بين عامي مائة وثلاثمائة للهجرة)، وهي لا تستلزم أن ينتهيَ (النبي) عن عبادة الأصنام قبل بعثته، ولهذا كانت أساطيرُ مثلُ تلك التي في رواية الطبري الثانية

(1) للمزيد حول الآثار المُترتبة على هذا الرأي انظر الصفحة 142-149.

مُرجَّحةً[1]، إلا أنَّ أساطيرَ أخرى، وضعت أسطورةَ شقِّ الصدر وتطهير القلب تمهيداً لبعثته، أو قبلها بفترة وجيزة، أثارت مشاكلَ جليلةً، حيثُ بدأ الاعتراضُ عليها آنذاك، وقد ظهرت هذه المشاكلُ مُبكِّراً في كتب الحديث الصحيح التي ترى أنَّ شقَّ الصدر وتطهير القلب كان قبل البعثة، وأنَّ المعراج كان بعدها، كما في حديث أسطورة المعراج الرابع الوارد في «كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات من صحيح مُسلم»[2]، وأنَّ عبارة «قبل أنَّ يوحى إليه» كانت قد أثارت جدلاً بشأن تاريخ الأسطورة أثناء، أو بعد البعثة في أوائل منتصف القرن الثاني الهجري، كما مرَّ بنا من قبل[3]. فالمسألةُ إذن دقيقةٌ ومُلفتةٌ للنظر، والجدلُ القائمُ في نصوص الأحاديث استلزمَ وضعَ تاريخِ أسطورة شقِّ صدر النَّبي قبل بعثته، وذلك بحسب تاريخ تسلسلِ الأحداث، عند أهل السُّنَّة والجماعة.

يدلُّ نشوءُ هذا الجدل في حدود منتصف القرن الثاني الهجري كما أشرنا آنفاً، على أمورٍ كثيرةٍ أخرى، وليس فقط على تدوين الأسطورة بنمطها هذا من قبل المسلمين في تلك الفترة، فمن وجهة النظر هذه، فإنَّ هذه الروايةَ الواردة في باب «ذكر علامات النُّبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يُوحى إليه» عند ابن سعد[4]، وقد

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 1157-1158.
[تاريخ الطبري، 2: 307-308. المترجم].
(2) [صحيح مُسلم، 1: 148. المترجم].
(3) راجع الصفحة 60 وما يليها.
(4) طبقات ابن سعد، 1: 96.

جاء فيها تطهيرُ قلب النَّبي في طفولته، تكتسب دلالةً لا يُستهان بها أكثرَ ممَّا تبدو عليه للوهلة الأولى؛ لأنَّها حافظت على مدلولِ الأسطورة القديم، مقابلَ نمطها المُستجدِّ الذي وضع تطهيرِ القلب أثناء البعثة، ولا يُمكن البتُّ في: هل كان هذا النمطُ المُستجدُّ مُتَّصلاً بعقيدة عصمة النَّبي أم لا؟. إذ لم تستلزم هذه العقيدةُ في فترة مُبكِّرة، نبذَ النَّبي عبادة الأصنام قبل بعثته كما ذكرنا، ولكنَّنا نعلم من ناحيةٍ أخرى، أنَّ أوساطاً مُعيَّنة في فترة مُبكِّرة، حوالي عام مائتين للهجرة، اعتبرت أنَّ النَّبيَّ كان قد نبذَ عبادة الأصنام في طفولته، وذلك بحسب رواية ابن إسحاق ـ ابن هشام المُشار إليها، ومن هنا تتفاوتُ الآراءُ حول عقيدة العصمة كثيراً، وليس من الضروري اعتبارُ هذه الآراء هي التي كانت وراء الاعتراض على أسطورة شقِّ الصدر من أجل البعثة، إذ يكفي أنَّ نمطَها الجديد لم يكن مُتوافقاً مع روايةِ أسطورة البعثة المُجمع عليها.

ولقد حلَّ البغوي(1) مسألةَ تاريخ المعراج قبل البعثة، في

[الطبقات الكبرى، 1: 119. المترجم].

(1) مُقتبس من شريكه، معراج مُحمَّد في مجلة الإسلام، 6، 1915، هامش الصفحة 29 (تفسير البغوي، مخطوطة جامعة لايدن)، فلم يكن لدي نسخة من تفسير البغوي.

[فالأكثرون على أنَّ المراد منه ما رأى النَّبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات. قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها النَّبي ﷺ ... والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا، فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكر بعضهم ذلك، وكذبوا وكان فتنة للناس. وقال قوم: أسري بروحه دون بدنه. وقال بعضهم: كان له معراجان رؤية بالعين ومعراج رؤيا =

حديثِ أسطورة المعراج الرابع عند مُسلم، عن سليمان بن بلال عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، حيثُ ذكَرَ أنَّ المقصودَ بهذا المعراج هو رُؤيا كانت قبلِ المعراجِ الفعلي باثني عشر عاماً قبل الهجرة، ولا نعرفُ كيف حلَّ المُفسِّرون الآخرون المسألةَ، إن لم تكن كلمة «يُوحى» تدلُّ على الوحي في السماء[1]، ومع ذلك يُبيِّن تفسيرُ البغوي أنَّ عبارة «قبل أن يُوحى إليه» كانت قد فُهمت بمفهومها الرمزي الغامض آنذاك، (حوالي سنة 500هـ/1100م).

وعلى أية حالٍ سلَّطت عبارةُ: «قبل أن يُوحى إليه» بالإضافة إلى السياقِ الغامض في صحيح مُسلم، الضوءَ على نزعةٍ جديدةٍ، تجاهَ روايةِ أسطورة شقِّ الصدر في سنِّ الطفولة[2].

لم يهتم حديث مسلم، عن سليمان بن بلال بمسألة تاريخ تطهير قلب النبي، بمعنى إن كان في طفولته، أم بعد ذلك[3]، ولكنَّ رواياتٍ أخرى للأسطورة أظهرت مراحلَ وسيطة (بين مرحلتي الطفولة والبعثة)، في سياقِ تصوُّرِ عقيدة عصمة النَّبيِّ، استُنبطت كلُّها من أحاديثٍ، أخذت بأنَّ الأسطورة كانت تمهيداً للبعثة، ثمَّ عُدِّلت على الأغلب، كما أشرنا سابقاً، بأسلوبٍ سطحيٍّ طفيف، عن طريقِ إضافة توطئة للأسطورة، أرجعتها إلى فترةٍ أبكرَ

بالقلب. تفسير البغوي، 3: 141. والبغوي هو الحسين بن مسعود بن مُحمَّد (436-510هـ/1044-1117م)، فقيه، مُحدِّث، مُفسِّر. الأعلام، 2: 259. المترجم]

(1) [للتفصيل تُنظر الصفحات 58-63. المترجم].

(2) راجع الصفحة 60 وما يليها، والصفحات 86-89.

(3) انظر باب «ذكر علامات النُّبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه». طبقات ابن سعد، المرجع السابق.

من تلك التي تطلَّبتها روايةُ الأسطورة التالية، فصارت أسطورةُ شقِّ الصدر فيها، وتطهيرِ القلب «علامةً» على نبوَّة مُحمَّد، ووُضع تاريخها بعد مرحلة طفولته، ثمَّ عُدِّل المضمونُ فيما بعد، كما في حديث أبي هُريرة في السيرة الحلبية[1].

وهكذا أُجمعَ على أنَّ أسطورة شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب كانت للتمهيد للمعراج، من خلال تلك «العلامة» في الأسطورةِ المؤرَّخة بما بعد مرحلة الطفولة على الأرجح، لكنَّ تاريخَ ما قبل البعثة في هذه الحالة كان مُبهماً.

كان الأمرُ، في عصر الطبري، مُعقَّداً بعضَ الشيء، فقد جاءت أسطورةُ شقِّ الصدر فيما لا يقلُّ عن ثلاث مجموعاتٍ رئيسة:

الأولى: رواياتُ أسطورة شقِّ الصدر في سن الطفولة[2].

الثانية: رواياتُ أسطورة شقِّ الصدر مُرتبطة بالإسراء والمعراج[3].

الثالثة: رواياتُ أسطورة شقِّ الصدر قبل البعثة[4].

وقد تصوَّر الطبري أنَّ رواياتِ المجموعتين الأخيرتين، أو على

---

(1) [السيرة الحلبية، 1: 149. المترجم].

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 970-972.
[تاريخ الطبري، 2: 158-160، المترجم].

(3) الطبري، تفسير الطبري، 15: 3-4، 6، وكذلك الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 1157-1158.
[جامع البيان في تأويل القرآن، 17: 332-337، وكذلك رواية الطبري الثانية، تاريخ الطبري، 2: 308، المترجم].

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 1154-1155.
[رواية الطبري الأولى، تاريخ الطبري، 2: 304-306. المترجم].

الأقلّ روايتَه الأولى والثانية، هي رواياتٌ مُختلفةٌ، سردت الأسطورةَ نفسها، ورأى أنها مُرتبطةٌ بالمعراج: «لما كان حينُ نبئ النبي»، هذا هو حلّ المسألة المُمكن فقط، إنَ كانت رواياتُ هاتين المجموعتين مُتَّفقاً عليها، وهو رأيٌ ربَّما أجمعَ أهلُ السُّنَّة والجماعة عليه آنذاك، لكنَّه أدَّى إلى مُعضلةٍ جليَّة غيرِ قابلة للحلِّ، من حيثُ تسلسلُ الأحداث الزمني، لأنَّ الأسطورةَ في رواية الطبري الأولى ينبغي وضعُها قبل البعثة، وفي روايتِه الثانية بعدها، ومن هنا انتقى الطبري الحلَّ الوسطَ: «لمَّا كان حينُ نُبئ النبي». وهو تاريخُ أسطورة المعراج في روايته الثانية التي استشهدَ بها[1]، ومن الراجحِ أنَّ هذا التاريخَ قد اعتمدته بعضُ أوساط المُحدِّثين والمؤرخين، وحلَّ محلَّ تاريخِ الأسطورة الأقدمِ عند ابن إسحاق وابن سعد، وهو موجودٌ أيضاً عند ابن الأثير[2]، ....

(1) راجع الصفحة 48-49.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2: 36.

[اختلف الناس في وقت المعراج، فقيل: كان قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل بسنة واحدة. واختلفوا في الموضع الذي أسري برسول الله ﷺ منه، فقيل: كان نائماً بالمسجد في الحجر، فأسري به منه، وقيل: كان نائماً في بيت أم هانئ بنت أبي طالب، وقائل هذا يقول: الحرم كله مسجد. وقد روى حديث المعراج جماعة من الصحابة بأسانيد صحيحة. قالوا: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبرائيل وميكائيل فقالا: بأيهم أمرنا؟ فقالا: أمرنا بسيدهم، ثمَّ ذهبا، ثمَّ جاءا من القابلة وهم ثلاثة، فألفوه وهو نائم، فقلبوه لظهره وشقوا بطنه، وجاؤوا بماء زمزم فغسلوا ما كان في بطنه من غلٍّ وغيره، وجاؤوا بطست مملوء إيماناً وحكمة، فملئ قلبه وبطنه إيماناً وحكمة. قال: وأخرجني جبرائيل من المسجد وإذا أنا بدابة، وهي البراق، وهي فوق الحمار ودون البغل، يقوع خطوه عند منتهى طرفه. الكامل في

حيثُ كان يأخذُ بوجهة نظر الطبري عادةً باعتباره مؤرِّخاً[1].

وأرى أنَّ رواياتِ المجموعتين الأخيرتين هي رواياتٌ مُختلفةٌ، سردت الأسطورةَ نفسها كما تصوَّرها الطبري، وهي تعكسُ مرحلتين فقط، من مراحلِ تطوُّر أسطورة شقِّ صدر النَّبي وعقيدةِ عصمتِهِ، ومن هنا تكون روايةُ الطبري الأولى أسطورةً خالصةً للبعثة، بالإضافة إلى ظهور خاتمِ النُبُوَّة في روايته الثانية، ومن البديهي أنَّ هذه الأسطورة نافست أسطورةَ بعثة أهلِ السُّنَّة والجماعة التي أوردها الطبري أيضاً، وقدَّمها على أنَّها أسطورة بعثةٍ، وبناءً عليه كان دمجُ أسطورة شقِّ الصدر بأسطورة المعراج التي تتقدَّمها البعثة، مُناسباً ومتيناً، الأمر الذي لم يكن كذلك في عبارةِ «قبل أن يُوحى إليه»، الواردةِ في حديث أسطورة المعراج الرابع عند مُسلم عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، ممَّا يشير إلى أنَّ الطبري قام بعمليةِ توفيقٍ وتنسيق فيما بينهم، إذ حافظَ على

التاريخ، 1: 550-551. وابن الأثير هو علي بن مُحمَّد بن عبد الكريم (555-630هـ/ 1160-1233م)، المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب، سكن الموصل. **الأعلام**، 4: 331. المترجم]

(1) يجب ألا يؤدي رأي بيفان، معراج مُحمَّد إلى السماء في ملحق **مجلة علوم العهد القديم**، العدد السابع والعشرون، الصفحة 57 (راجع شريكه، معراج مُحمَّد في **مجلة الإسلام**، 6، 1915، هامش الصفحة 29)، القائل: «يُمثِّل قولٌ أو رأيٌ في كتاب تاريخ الرسل والملوك، رأي الطبري الحاسم النهائي، وذلك بعد دراسته الكاملة للأدلة المُتوفرة لديه»، إلى تصوُّر أنَّ الطبري عمل مثل مؤرخ حديث، فقد أثار التباس تسلسل الأحداث الزمني، الناجم عن تواريخ الأسطورة المُختلفة للأسطورة، تلك المسائل التي كان عليه حلها.

المفهوم القديم لعقيدة عصمة النَّبي القائل: بأنَّ مُحمَّداً لم ينبذْ عبادةَ الأصنام قبل بعثته، وهي نفسُها وجهةُ نظره في تفسيره كما ذَكرنا آنفاً[1]، غير أنَّه ألمحَ أيضاً إلى الآراء المُتزايدة بضرورة وضع أسطورة شقِّ صدر النَّبي وتطهير قلبه قبل البعثة في تفسيره[2]، وكذلك في تاريخ الرسل والملوك، وهو مطلبٌ أقدمُ بكثيرٍ من عصره[3].

تُظهر المقارنةُ بين روايتي أسطورة شقِّ صدر مُحمَّد في طفولته، عندَ ابن إسحاق وابن سعد من جهةٍ، وبين الطبري من جهة أخرى، التأثيرَ الشديد لرواياتٍ، تربطُ أسطورة تطهير قلبه ببعثته، على رواية الأسطورة في نمطها المُحدَّث، حيثُ تطوَّر نمطُها أكثرَ فأكثر عند ابن إسحاق، أي باعتبارها أسطورةَ اصطفاء لمُحمَّد، وهي روايةٌ وحيدةٌ ذاتُ صلة، وقد ذكَرَ الطبري نتيجةَ الأسطورة في شكلها النهائي[4]،

---

(1) تفسير الآية السابعة من سورة الضحى. الطبري، **تفسير الطبري**، 30: 149. [﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: 7] **جامع البيان في تأويل القرآن**، 24: 489. المترجم].

(2) ذكَرَ فقط أقوال السُّدِّي (تُوفِّيَ سنة 127هـ) المُبهمة، وليس أقوال الكلبي ومجاهد في تفسير الفخر الرازي، علاوة على ذلك ذكَرَ الطبري أنَّ التفسير القائل بأنَّ مُحمَّداً (لم يكن آثماً، ولكن) كان يعيش مع قوم ضلال.
[**تفسير الفخر الرازي**، 31: 197، وكذلك **جامع البيان في تأويل القرآن**، 24: 489. المترجم].

(3) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 1: 973، السطر 12، و975، السطر 17، والتي بحثناها في الصفحات 36-40.
[**تاريخ الطبري**، 2: 160-161-162. المترجم].

(4) المرجع السابق.

فيجب أن يكونَ لهذه الأسطورة مضمونٌ في مكانٍ ما، في الفترة ما بين عامي مائة وخمسين وثلاثمائة للهجرة، على الحد الفاصل بين روايتي ابن إسحاق والطبري، حيثُ كان شقُّ صدر مُحمَّد في طفولته، وتطهير قلبه علامةً على اصطفائه نبياً.

وبالمثلِ نلاحظُ تأثيرَ الرواياتِ التي تربط أسطورة شقِّ صدر مُحمَّد وتطهير قلبه ببعثته، على رواياتٍ أخرى لأسطورة شقِّ صدره في طفولته، ولا سيَّما إبدالُ «الرجُلينِ» في ثيابٍ بيض بجبريل، أو جبريل وميكائيل، ثمَّ ظهر ثلاثةُ رجالٍ أيضاً في حديثِ أسطورة المعراج الرابع عند مُسلم الذي بحثناه آنفاً[1]، وظهرَ هؤلاءِ الرجالِ الثلاثة مُجدَّداً عند الطبري[2]. كان جبريلُ قد ظهر في فترةٍ مُبكِّرةٍ، وذلك عند مُسلم (حديث أسطورة المعراج الثالث)[3]، عندما كان مُحمَّدٌ يلعبُ مع الغُلمان، إلا أنَّنا نجد عبارةَ: «فأتاهُ آتٍ» عوضاً عن جبريل في الحديث نفسه عند ابن سعد أيضاً[4]، أمَّا الالتباسُ بمنْ قام بشقِّ صدر مُحمَّد وغموضهِ في تفسير الرازي لآية سورة الانشراح الأولى، فهو أمرٌ لا يُستهانُ

---

(1) راجع الصفحة 58 وما يليها، كذلك الطبري، تفسير الطبري، 15: 3. وفي كتب الحديث الصحيح أيضاً. [يُنظر الحديث في: جامع البيان في تأويل القرآن، 17: 332. كذلك صحيح مُسلم، 1: 148. وصحيح البخاري، 3: 308. المترجم].

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 974، السطران 15-16. [تاريخ الطبري، 2: 161-162. المترجم].

(3) [صحيح مُسلم، 1: 147. المترجم].

(4) طبقات ابن سعد، 1: 97. [الطبقات الكبرى، 1: 120. المترجم].

به، فقد ذَكَرَ الرازي روايةَ أسطورة شقِّ صدر مُحمَّد في طفولته فقط من بينِ روايات أسطورة شقِّ الصدر، ويُبيِّنُ رفضُ غريمُه المعتزلي القاضي عبد الجبار لهذه الرواية بقوله: «إنَّ هذه الواقعةَ إنَّما وقعت في حالِ صغره»، أنَّ روايةَ أسطورةِ شقَّ صدر مُحمَّد، كان مُتَّفَقاً عليها في طفولته فقط حواليَ عام ألف بعد الميلاد، ويقال: إنَّ جبريل هو الذي شقَّ صدرَه، إلا أَنَّ الرازي ذكَرَ الدَّمَ الأسود الذي غسلوه «هُم» من قلبِ النَّبي بعد ذلك[1]، وحصلَ الطفلُ أيضاً على الختمِ في القلب، ونورِ النُبُوَّةِ والحكمة في رواية الطبري[2].

لم يعترف أهلُ السُّنَّة والجماعة بتطهيرِ النَّبي من عبادة الأصنام، إلا في طفولتهِ المُبكِّرة، بينَ عامي 1000-1100 للميلاد، وكان لا بدَّ، منذُ ذلك الحين، من الردِّ على كلِّ رواياتِ أسطورة شقِّ الصدر التي كانت تذكرُ صراحةً أنَّ النَّبيَّ كان قد طُهِّرَ من الشركِ بالله فيما بعد، أمَّا إن كان لا بدَّ من الاعتراف بهذه الروايات التي ذكَرَت تطهيراً إضافياً، فيُشارُ إليه بأنَّه من صغائرِ الذنوب، كما في رواية السيرة الحلبية[3].

ولا بدَّ أيضاً من تعديلِ أسطورة شقِّ صدر النَّبي وتطهير قلبه في

---

(1) الرازي، **تفسير الفخر الرازي**، 8: 454-455.
[**تفسير الفخر الرازي**، 32: 205. المترجم].

(2) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 1: 975، السطر الحادي والثاني عشر، راجع الصفحة 40.
[**تاريخ الطبري**، 2: 162. المترجم].

(3) راجع الصفحة 54.

طفولته، أو إعادةِ تأويلها؛ نظراً إلى أنَّ الآراءَ حولَ عقيدةِ عصمة النَّبيِّ المُتزايدة شيئاً فشيئاً، أوجبت حصانةَ النَّبي من الشرك وقتَ ولادته، وقد جسَّدَ هذا الرأيُ الإجماعَ النهائيَّ الحاسم، وهو رأيٌ للأغلبية، وليس للكلِّ جميعاً، وذلك في زمنِ الرازي الذي ذكَرَ ذنوب النَّبيِّ ومعاصيَه، وفسَّر المعاصيَ التي تَطهَّرَ النَّبيُّ منها بميلِ القلب إليها، وليس الشركَ بالله[1].

قد تُقبَلُ رواياتُ أسطورة شقِّ الصدر الأوليَّة عندَ ابن إسحاق وابن سعد، طالما أنَّهما افترَضا ذلك ضمناً، بدلاً من ذكرِ أنَّ النَّبيَّ كان قد طُهِّر من عبادةِ الأصنام صراحةً؛ نظراً إلى أنَّهما سلَّما مُقدَّماً بأنَّ الله حفِظَ نبيَّه من الشرك منذُ مولده، وذلك قبلَ نشأةِ عقيدة عصمة النَّبي الإلهية، إذ لا وجودَ لأيِّ تصوُّرٍ مُحدَّدٍ بشأنها.

لقد اهتُمَّ بجانبِ أسطورة شقِّ الصدر الإيجابيِّ بمرورِ الوقت: امتلأ القلبُ إيماناً وحكمةً ورحمةً وشفقةً، وما شابه ذلك، إذ كان هذا الجانبُ مفقوداً من روايةِ الأسطورة الأوليَّة، وصار نمطاً لمعظمِ روايـات الأسطورة فيما بعدُ، حتَّى عند الطبري، ومن البديهيِّ أن ينشأَ هذا النمطُ البارز من روايةِ الأسطورة تمهيداً للبعثة، وقد قصرَها على التمهيدِ للبعثة فحسب.

(1) الرازي، تفسير الفخر الرازي، 8: 455.
[فلا يبعد أن يكون حصول ذلك الدم الأسود الذي غسلوه من قلب الرسولﷺ علامة للقلب الذي يميل إلى المعاصي، ويحجم عن الطاعات. تفسير الفخر الرازي، 32: 205. المترجم].

الخاتمة

تبيَّن من شقِّ صدر مُحمَّد، في وقت بلوغه تقريباً، أنَّ أسطورةَ شقِّ الصدر الإسلامية لبعثته عكسَت أسطورةً «وثنيَّةً» قديمةً، فتكونُ النتائجُ المنطقية على النحوِ الآتي:

كان هُناك أسطورتا بعثةٍ مُختلفتين في فترةٍ مُعيَّنة، حوالي عام مائة للهجرة:

1. **الأولى:** هي أسطورةُ البعثة بنُزول وحي بعض الآيات القرآنية، وهي الآياتُ الأولى من: سورة العلَق وسورة المُدَّثِّر وسورة المُزَّمِّل، أو بعضِ السور الأخرى(1).

---

(1) [حدَّثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1] قرأ حتَّى بلغ ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: 4] قال: «القلم: نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم، ولم يصلح عيش» وقيل: إنَّ هذه أول سورة نزلت في القرآن على رسـول الله ﷺ. ذكَرَ من قال ذلك: حدَّثني أحمد بن عثمان البصري، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا أبي، قال: سمعت النعمان بن راشد، يقول عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، أنها قالت: كان أول ما ابتدئ به رسـول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة؛ كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثمَّ حبب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أنَّ يرجع إلى أهله، ثمَّ يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها، حتَّى فجأه الحق، فأتاه؛ فقال: يا مُحمَّد أنت رسول الله. =

2. **الثانيةُ: هي أسطورةُ تطهيرِ قلب مُحمَّد ووزنِهِ تمهيداً لبعثته.**

أجمعَ أهلُ السُّنَّة والجماعة على الأسطورةِ الأولى كما مرَّ بنا، فالخياراتُ وافرةٌ بينَ ثنايا هذه الآيات أمامَهم، إلا أنَّ أسطورتَهم لم تضمَّ أساطيرَ أخرى[1]، هكذا كان الحالُ منذُ أولى الروايات، وكذلك استمرَّ الحالُ في الأحاديث الإسلامية برُمَّتِها في أغلبِ روايات كتب الحديث الصحيح، حيثُ جاءت أسطورةُ شقِّ صدر مُحمَّد وتطهيرِ قلبه قبلَ بعثته في طفولتِهِ، وقبلَ البعثة ببضعِ سنواتٍ، أو قبلَها مباشرةً أيضاً، باستثناء تلك المنسوبةِ إلى سليمان بن بلال، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر[2]، لكنَّ الأسطورةَ، في روايات الحديث هذه، ليست خالصةً للبعثة.

في حينِ أرَّخ بعضُ المُحدِّثين، غيرِ أهل السُّنَّة والجماعة،

جامع البيان في تأويل القرآن، 24: 527-528. وعن إبراهيم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: 1] قال: كان متدثراً في قطيفة وذكر أنَّ هذه الآية أول شيء نزل من القرآن على رسول الله ﷺ. **جامع البيان في تأويل القرآن**، 23: 400. عن قتادة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: 1] هو الذي تزمل بثيابه وقال آخرون: وصفه بأنه متزمل النبوة والرسالة. ذكَرَ من قال ذلك حدَّثنا مُحمَّد بن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: 1 - 2] قال: زملت هذا الأمر فقم به قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك، ما قاله قتادة لأنَّه قد عقبه بقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ [المزمل: 2] فكان ذلك بياناً عن أنَّ وصفه بالتزمل بالثياب للصلاة، وأن ذلك هو أظهر معنييه. **جامع البيان في تأويل القرآن**، 23: 357-358. المترجم].

(1) [مثل أسطورتي الإسراء والمعراج. المترجم].

(2) [الرواية التي تجعل الإسراء والمعراج قبل البعثة. المترجم].

لأسطورةِ شقِّ صدر مُحمَّد وتطهيرِ قلبه تمهيداً لبعثته في فترةٍ مُبكِّرة جداً، قبلَ عام مائة للهجرة في أغلب الظنِّ، الأمرُ الذي يُمكن استنتاجُه ممَّا هو في الروايات المتداوَلةِ، ثمَّ دُمجت بإحدى رواياتِ أسطورة البعثة المُجمعِ عليها في بواكيرها الأولى، غيرَ أنَّ هذا الدمجَ لم ينجحْ، حيثُ أفضى إلى أسطورةِ تمهيدٍ للمعراج، أو أسطورةِ «علامة» للنُبُوَّة في نمطٍ محوَّرٍ فيما بعد.

وإذا أهملنا حلَّ مسألةِ تاريخِ المعراج قبل البعثة المُفترضِ عند البغوي[1]، فثمَّةَ طريقتانِ مُتاحتانِ لتوفيق لاحق «بينَ تواريخ المعراج المُختلفة»:

- **الطريقةُ الأولى:** من المُمكنِ اعتبارُ روايتين، أو أكثرَ من رواياتِ أساطير شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب، أحاديثَ مُختلفةً للحدثِ نفسه، الأمرُ الذي كان مُستطاعاً فيما لو وُضِعَ تاريخٌ تقريبيٌّ للفترةِ نفسها من حياةِ النَّبيِّ على الأقلِّ.
- **الطريقةُ الثانية:** من الممكنِ تقسيمُ الأحاديث المُختلفة، وتوزيعها على أحداثٍ مُختلفةٍ من حياة النَّبيِّ، وبهذه الطريقةِ لا بدَّ من افتراضِ أربعةِ شقوقِ صدرٍ، أو خمسةٍ مُختلفة، كما فعَل الطبري والحلبي ثمَّ الآلوسي في تفسيره لآية سورة الانشراحِ الأولى على سبيلِ المثال، كانت هذه الطريقةُ اضطراريَّةً في تفسيرِ الأحاديث الرئيسة في كتب الحديث الصحيح، إن لم يُعتمَدْ تسلسُلُ الأحداث الزمنيِّ عند الطبري.

(1) راجع الصفحة 136.

ونعودُ في خاتمةِ المطاف، إلى رأيِ شريكه وبيفان وهورفتس المُعاصر المُشارِ إليه في مُقدِّمة البحث.

يُظهرُ التحليلُ المقارنُ لرواياتِ أسطورة شقِّ الصدر الإسلاميَّة المُختلفة، أنَّ تطوُّرَ الأسطورة قد تقدَّمَ من سنِّ الطفولة إلى زمنِ البعثة، ثمَّ إلى فترةٍ قبلَها، ثِمَّ رجع مُجدَّداً إلى سنِّ الطفولة في النهاية.

ولقد أشارَ كلٌّ من شريكه وبيفان وهورفتس إلى أنَّ شقَّ الصدر وتطهيرِ القلب كان قد شكَّل أسطورةً مُمهِّدةً للمعراج منذُ زمنٍ قديم جداً، ويُبيِّنُ التحليلُ المذكور أنَّ هذا الدمجَ، دمجَ الأسطورة بأسطورةِ المعراج، يُمكن ردُّه إلى أوائلِ القرن الثاني للهجرة، وأنَّ ما أشار إليه هؤلاءِ العلماءُ سليمٌ، باستثناءِ أنَّ هذا الدمجَ حديثٌ، فالأسطورتانِ، على حدٍّ سواء (أو الثلاثة، إذا اعتُبرت أسطورة الإسراء واقعةً أخرى)، مُستقلَّتانِ في الأصل.

توافقَ النصُّ القرآنيُّ، والحديثُ النبويُّ، وعُلماء مُعاصرون على أنَّ أساسَ أسطورة المعراج (والإسراء) من رواية النَّبيِّ مُحمَّدٍ نفسه، أمَّا بالنسبةِ لأسطورة شقِّ صدره وتطهيرِ قلبه، فلا تُحلُّ المسألةُ، عندما يظهرُ أنَّ التوقيتَ الأساسيَّ للأسطورة هو في طفولته، حيثُ ينتمي نمطُ الأسطورة هذا إلى مجموعةِ أساطيرَ بحثَها هورفتس[1]، نشأت حولَ طفولةِ النَّبي في أواخر القرن الأوَّل للهجرة، وتبقى مسألةٌ واحـدةٌ، هـي: هل كانت روايةُ

---

(1) هورفتس، إلى أسطورة مُحمَّد، مجلة الإسلام، 5، 1914، الصفحة 41 وما يليها.

الأسطورة العربية «الوثنية» تمهيداً للبعثة عندَ بعض المُحدِّثين، من غيرِ أهل السُّنَّة والجماعة، وهي موجودةٌ منذُ وقت رواية شقِّ الصدر في سنِّ الطفولة - مرفوضةً باعتبارِ روايتِها من أولئك المُحدِّثين؟، أو لأنَّ عليها مسحةً وثنيةً، على الرُّغمِ من أنَّها من روايةِ النَّبيِّ نفسه؟.

تلفتُ النظرَ روايـةٌ لأسطورة شقِّ الصدر في طفولة مُحمَّد، مُختلفةٌ عن تلك التي عند ابن إسحاق، في الصفحة 106 (وليست الصفحة 105)[1]، جاءت في مُسند أحمد بن حنبل (تُوفِّيَ 241هـ)[2]، في حديثِ الصحابي عتبةِ بن عبد أبي الوليد السلمي (تُوفِّيَ بين سنتي 87 و92هـ)[3]، أنَّه حدَّثهم: أنَّ رجلاً سألَ رسولَ الله ﷺ، فقال: كيف كان أوَّلُ شأنِك يا رسول الله؟. قال: «كانت حاضنتي من بني سعدِ بن بكر، فانطلقتُ أنا وابن لها في بُهمٍ لنا، ولم نأخذْ معنا زاداً، فقلت: يا أخي، اذهبْ فأتنا بزادٍ من عند أمِّنا. فانطلقَ أخي ومكثتُ عند البُهم، فأقبلَ طيرانِ أبيضان كأنَّهما نِسران، فقال

(1) [رواية ابن إسحاق الثانية في الصفحة 106، والثانية في الصفحة 105 كما مرَّ بنا. المترجم].

(2) [الإمام أحمد بن مُحمَّد بن حنبل (164-241هـ/780-855م)، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس، وولد ببغداد. **الأعلام**، 1: 202. المترجم].

(3) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، 7: 98، وكذلك ابن الأثير، **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، 3: 362.

[عتبة بن عبد السلمي صاحب النَّبي ﷺ. نزل الشام بحمص. وله جماعة أحاديث، قيل تُوفِّيَ سنة سبع وثمانين. **سير أعلام النبلاء**، 3: 416-417. المترجم].

أحدُهما لصاحبه: أهو هو؟. قال: نعم. فأقبلا يبتدراني، فأخذاني فبطحاني إلى القِفا[1]، فشقَّا بطني، ثمَّ استخرجا قلبي، فشقَّاه فأخرجا منه علَقتينِ سوداوين، فقال أحدُهما لصاحبه، ـقال يزيدُ[2] في حديثه: ائتني بماءِ ثلجٍ ـ، فغسَلا به جوفي، ثمَّ قال: ائتني بماءِ برَدٍ، فغسَلا به قلبي، ثمَّ قال: ائتني بالسكينةِ. فذرَّاها في قلبي، ثمَّ قال أحدُهما لصاحبه: حِصْهُ[3]، فحاصَه، وختَم عليه بخاتم النبوة ـ وقال حيوة[4] في حديثه: حصْه فحصْه واختمْ عليه بخاتم النبوَّة»، ثمَّ تأتي قصَّةُ الوزن بعد ذلك[5].

تشدُّ هذه الروايةُ الانتباهَ شدّاً كثيراً، إذ أشارَ الحلبي إليها بقوله:

(1) راجع العبارة عند الطيالسي في الصفحة 22.

(2) [يزيد بن عبد ربه الجرجسي، الإمام، الحافظ. ولد سنة ثمان وستين ومائة. وتُوفِّيَ في سنة أربع وعشرين ومائتين. سير **أعلام النبلاء**، 10: 567-568. المترجم].

(3) [الحوص: الخياطة، ومنه المثل: «إن دواء الشق أن تحوصه». **القاموس المُحيط**، 616. المترجم].

(4) [حيوة بن شريح (تُوفِّيَ سنة 158هـ/775م)، شيخ الديار المصرية، كان ثقة في الحديث. **الأعلام**، 2: 291-292. المترجم].

(5) **مُسند الإمام أحمد**، 4: 184-185. (ورد الحديث أيضاً عند الدارمي (تُوفِّيَ سنة 255هـ)، **مُسند الدارمي**، المقدمة، الباب الثاني، بحسب أرند جان فنسنك، **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، لكن المُسند لم يكن متاحاً لي).

[مُسند الإمام أحمد بن حنبل 29: 194-195. وكذلك مُسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، 1: 163. وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (181-255هـ/797-869م)، من حفاظ الحديث، كان قاضياً على سمرقند. **الأعلام**، 4: 95. المترجم].

«رواية غريبة»[1]، وقوله يُستخدمُ بمفهومه الرمزي إشارةً إلى حديثٍ مقطوعٍ عند أحد الصحابة أو التابعين.

وحديثُ استبدالِ الرجُلين بطائرينِ قديمٌ جداً، ويبدو من خلالِ أسلوبه في المُسندِ، أنَّه أحدثُ من رواية ابن إسحاق الثانية، ويكشفُ عن آثارِ العبارات والألفاظ المؤثِّرة في نمطِ رواية أسطورة شقِّ الصدر في طفولة النَّبي عند الطبري[2]، باستثناءِ أنَّ هذه ليست قديمةً كتلك التي عند ابن إسحاق، حيثُ نلاحظُ بدءَ أسطورة شقِّ الصدر بعبارة: «أوَّل شأنِك» عند ابن حنبل، وعبارةَ: «بدء شأنِك» عند الطبري، وبالإضافة إلى دلالةِ الألفاظ: «أهو هو؟» عند ابن حنبل، و«خاتم النُبوَّة»، في كلتا الروايتين، على اصطفاءِ مُحمَّد وبدءِ نُبوَّته، حيثُ أُضيفت هذه العباراتُ، والألفاظُ إلى رواية ابن إسحاق البسيطة نسبيّاً، بفعل التطوُّر الدينيِّ اللاحق كما مرَّ[3]، على الرُّغمِ من أنَّها كانت تحت تأثيرِ أسطورة البعثة المُعتمدة عند بعض المُحدِّثين، ومن ثَمَّ تنتمي روايتا أحمدِ بن حنبل والطبري إلى ما بعدَ التدوينِ الرسميِّ للإسلام.

إلا أنَّ الحديثَ لم يُجمعْ عليه أهلُ السُّنَّة والجماعة، على الرُّغمِ

---

(1) الحلبي، السيرة الحلبية، 1: 123.
[وفي رواية غريبة: نزل عليه كركيان، فشق أحدهما بمنقاره جوفه، ومج الآخر فيه بمنقاره ثلجاً أو برداً. وقد يقال: إنَّ الطيرين تارة شُبِّها بالنسرين وتارة شُبِّها بالكركيين. السيرة الحلبية، 1: 136، المترجم].

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1: 973 وما يليها.
[تاريخ الطبري، 2: 161. المترجم].

(3) كما هو موضح في الصفحتين 36-40.

من قول الحلبي: إنَّ المرادَ بالطائرين هو الملَكانِ: جبريلُ وميكائيل[1]، وهذا من إضافته حتماً. ويبقى ذكرُ أحمدِ بنِ حنبل «طائرينِ» بدلاً من «رجُلينِ» أمراً جديراً بالانتباه، ويدلُّ إسنادُ الحديثِ المُحكمُ[2] على أنَّ أحمد بن حنبل لا يذكر الطائرين، لو لم يجدهما في سندٍ موثوقٍ به، ويُبيِّن الإسنادُ كذلك المرحلةَ المُتطوِّرةَ لتدوين الإسلام الرسمي، مُقارنةً بروايةِ ابن إسحاق الثانية، ولكنَّنا من خلالِ مُلاحظة أنَّ أحد المُحدِّثين كان مشتركاً بينهما، خالد بن معدان (تُوفِّيَ بين سنتي 103 و108هـ)، وقد رجَّحه ابن إسحاق للرواية[3] ـ نستنتجُ أنَّ روايةَ أسطورة شقِّ الصدر منسوبةٌ إليه في أواخر القرن الثاني للهجرة، حيثُ ذُكرَ في روايتينِ رئيستين، واحدةٍ فيها رجُلان، ذكرها ابن سعد أيضاً[4]، وواحدةٍ فيها طائران. إذن فمن الراجح أنَّ الطائرين إضافيان، ذُكرا جرَّاء تأثُّرِ الأسطورة الإسلامية بأسطورةٍ عربيَّةٍ وثنيَّة، ونظراً إلى

(1) [فقال ﷺ: جاءني رجلان عليها ثياب بيض أي وهما جبريل وميكائيل: أي وهما المراد بقوله في رواية: فأقبل إليَّ طيران أبيضان كأنهما نسران. **السيرة الحلبية**، 1: 136. المترجم].

(2) [حدَّثنا حيوة، ويزيد بن عبد ربه، قالا: حدَّثنا بقية، حدَّثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن ابن عمرو السلمي، عن عتبة بن عبد السلمي. **مُسند الإمام أحمد بن حنبل**، 29: 194-195. المترجم].

(3) راجع الصفحة 34.
[قال ابن إسحاق وحدَّثني ثور بن يزيد، عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكُلاعي. **سيرة ابن هشام**، 1: 166. المترجم].

(4) **طبقات ابن سعد**، 1: 96. (راجع الصفحة 10).
[ذكر علامات النُّبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه. **الطبقات الكبرى**، 1: 119. المترجم].

ذكرِ ابن حنبل لهما، فمن الراجحِ أنّهما مذكورانِ في الأصل، في النصِّ الأقدمِ للحديث. وهذا يعني أنَّ في الأسطورة، في أواخر القرن الأوَّل للهجرة، طائرينِ شقَّا صدرَ محمد.

من غير المُمكنِ البتُّ في تاريخِ أسطورة شقِّ صدر مُحمَّد، في طفولته، عند أهل السُّنَّة والجماعة مُقارنةً بتاريخها في بلوغه، عند غيرهم، فالروايتانِ كانتا معاً حواليَ عامٍ مائة للهجرة، وقد تُومِئ الأسطورةُ التي رفضها أهلُ السُّنَّة والجماعة إلى اختلاقها فعليّاً من قِبلِ مُحمَّد، مثلَ أُميَّة بن أبي الصَّلت الذي ذكَرَ طائرين شقَّا صدرَه، ثمَّ اصطُفيَ نبيّاً، وقد طمسَ أهلُ السُّنَّة والجماعة هذه الروايةَ من الأسطورة، حيثُ أُبقيَ على الطائرينِ، في المرحلة الأولى، ووُضعت الأسطورةُ في طفولة مُحمَّد، ثمَّ تحوَّل الطائرانِ إلى رجلين في المرحلة الثانية، لكنَّ رواية الطائرين بقيت عند بعضِ أوساطِ أهل السُّنَّة والجماعة، وعُدِّلَت بعضَ الشيء ووُضِعت في مرحلة طفولة مُحمَّدٍ أيضاً؛ لجعلِها مُتوافقةً مع وجهةِ نظرهم، على الرُّغمِ من احتوائها على آثارٍ من روايةٍ أوليةٍ لأسطورةِ شقِّ الصدر للبعثة، علماً أنَّ كلمة «القفا» هي أثرٌ قديمٌ باقٍ منها عند الطيالسي(1)، وهكذا رأت روايةُ الأسطورة عند أحمدِ بن حنبل المُثيرةُ للجدلِ النورَ، بعدَ انعكاس تأثير أسطورة البعثة عند بعض المُحدِّثين على أسطورة بعثة أهل السُّنَّة والجماعة، ومن المُحتملِ أيضاً أنَّ هناك آثاراً أوليَّةً أخرى باقية، أو أُعيدَت صياغتُها في رواية ابن حنبل.

---

(1) راجع الصفحة 53.

جاء ذكَرَ الطائرين في روايةٍ حديثةٍ من أسطورة شقِّ الصدر من بيئةٍ إسلاميةٍ معروفة، لا تعكسُ الكثيرَ من بيئة العرب الوثنية قبل الإسلام، وبناءً على ذلك فإنَّ روايـةَ الأسطورة الأوليَّة ستكونُ شبيهةً برواية ابن إسحاق الأولى (وليس روايته الثانية)، وهذا فقط إن كان مُحمَّدٌ قد دُعيَ بطريقةٍ مُماثلةٍ لأُميَّة بن أبي الصَّلت، فيكونُ مكانُ الأسطورة منزلَ مُحمَّد في مكَّة[1]، وفيها إشارةٌ إلى عمليةِ بحث، وقد تطوَّرت لتكونَ أسطورةً مُمهدةً للبعثة، وجاءت في أحاديثِ أهل السُّنَّة والجماعة في صِيَغِها الأخيرة، بغضِّ النظر عن روايةِ الأسطورة في طفولة مُحمَّد عند أهل السُّنَّة والجماعة، لكنَّنا لن نتمكَّنَ من إعـادةِ بناء هـذه الأسـطورة الأولـيَّة المُفترضة، فوجودُها ذاتُه هو مجردُ احتمالٍ، لا يُمكنُ التأكُّدُ منه؛ لأنَّ مصادرَنا لا تحملُنا إلى الوراء، أكثرَ من أواخرِ القرن الأوَّل للهجرة.

ليست روايـةُ أسطورة شقِّ الصدر تمهيداً للبعثة هي الروايةُ الأصليَّة، لأنَّ هناك معلوماتٍ كثيرةً، في أواخـرِ القرن الأوَّل للهجرة، تُقرنُ الأسطورةَ في طفولة مُحمَّد بهذه الروايةِ، ممَّا يعني أنَّ مُحمَّداً اصطُفيَ نبيّاً من خـلالِ شقِّ صـدره بواسطة طائرين أبيضين، ومـن ثَـمَّ فـإنَّ الدينَ الإسـلامـيَّ، في مرحلتهِ الأولـى، سيقتربُ من الدينِ الوثنيِّ العربيِّ بدرجةٍ أعلى ممَّا يُفترَضُ عادةً[2]، حتَّى من قِبلِ العلماء الغربيين، وما يُسمَّى: «الدينَ الإسلاميَّ

(1) راجع الصفحة 58.

(2) [بالنظر إلى احتواء الإسلام على بعض ممارسات العرب في الجاهلية، مثل: الحج والختان، وغيرهما، وتوجيه ذلك كله نحو توحيد الله في الإسلام. المترجم].

الحقيقيَّ الخالص»، مذهبَ أهل السُّنَّة والجماعة وغيرِهم، راجعٌ إلى تصوُّرٍ دينيٍّ لاحق، كما أرى في هذا البحثُ، وليس لدينا وسيلةٌ للذهاب أبعدَ، من المصادرِ الموجودةِ، لما قدَّمناه آنفاً.

الراجحُ صحَّةُ رأي شريكه وبيفان وهورفتس في أنَّ أسطورة شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب كانت خطوةً أوليَّة لمبعث النبي، ثمَّ صارت تمهيداً للمعراج، كما في الروايات والأحاديث، وبضمنِها ما عندَ أهل السُّنَّة والجماعة، إلا أنَّها لم تُصنَّفْ مع البعثة، إذ قيل: إنَّ البعثةَ حدثٌ مُختلفٌ عن المعراج، وهي تسبقُه على الدوام. وربما كان المعراجُ عند غيرهم فقط، خطوةً أوليَّة لمبعث النَّبيِّ بمدلوله الصحيح، وذلك في مرحلةٍ سابقةٍ لتلك التي شهدتها الرواياتُ في مصادرنا.

كانت رواياتُ أسطورةِ شقِّ الصدر المُماثلةُ في دياناتٍ، أو عقائدَ قديمة أخرى في الدراسات الإثنية[1] التي ذكرها شريكه، والرواياتِ المسيحيَّة والفارسيَّة المُماثلةِ التي قدَّمها هورفتس؛ مهمةً لفهمِ أسطورة شقِّ الصدر وتطهيرِ القلب من أجلِ اصطفاءِ

(1) [أو إثنولوجيا أحد فروع علم الأنثروبولوجيا. تهتم بدراسة الأجناس البشرية، سواء الموجودة الآن، أو التي اختفت منذ عهد قريب، مع العناية بنوع خاص بالدراسة التحليلية المقارنة للشعوب البدائية. فإنَّ الاختلاف بين هذه الشعوب والصفات الفريدة التي تتميز بها ثقافاتهم والبساطة النسبية التي تميز تنظيمهم، كل أولئك قد أدى إلى تطور أساليب الملاحظة الموضوعية غير المتحيزة، كذلك تهتم الإثنولوجيا بدراسة الظاهرات الاجتماعية في المجتمع البدائي، ولكنها تنهج في ذلك نهجاً تاريخياً بقصد تعرف نشأة الظاهرة أو النظام، ثمَّ تتبع المراحل المختلفة التي مر بها. **الموسوعة العربية الميسرة**، 99-100. المترجم].

مُحمَّدٍ نبيّاً، وهي مهمةٌ كذلك لفهمِ رواية الأسطورة للبعثة عندَ بعض المُحدِّثين[1]، أكثرَ من فهمِ الأسطورة في نمطِها الحالي، لكنَّ ما يجبُ التأكيدُ عليه هو: لا يصحُّ أن نستنتجَ أنَّ رواية الأسطورة «الوثنيَّة» هي الأصلُ في الدين الإسلامي؛ بسبب أوجهِ التشابه، فقد تكونُ أصليةً، كما هو موضَّح أعلاه، ولكن لا بدَّ من أن تكونَ الحقائقُ التاريخيَّة قاطعةً، لا من تلكَ الرواياتِ المُماثلةِ في الدراساتِ الإثنيَّة فقط، وإنَّ لروايةِ أُميَّة بن أبي الصَّلت، وروايةِ الطائرين اللذين ظهرا لمُحمَّدٍ، أهميةً أكبرَ بكثيرٍ من هذه الروايات. فلا بدَّ إذن من أن يكونَ فهمُ سماتِ الأساطيرِ المُنفردةِ، ومجموعاتِها كمؤلفاتٍ، وترابطِها بالشكلِ الذي ظهرت به في الروايات المنقولة إلينا ـ على أساسِ نمطِها الإسلاميِّ فحسب.

إنَّ ما يُحدِّدُ التسلسلَ الزمنيَّ المُتبادلَ بين روايتي أسطورة شقِّ الصدر، الأولى في طفولة مُحمَّد، والأخرى أثناءَ بعثته ومعراجه، هو أمورٌ واضحةٌ معلومةٌ في الدين الإسلامي، وليس من خلالِ رواياتٍ شبيهةٍ في دياناتٍ قديمة أخرى غير قاطعة، كما لا يصحُّ لنا تحديدُ هذا التسلسلِ الزمنيِّ على أساسِ أفكارٍ عامَّةٍ، بل على أُسسٍ مُحدَّدةٍ ذاتِ صلة، كما لا يمكنُ تحديدُه على أساسِ الرواياتِ والأحاديث الحالية بأيِّ حالٍ من الأحوال، فقد نخمِّنُ أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة رفضوا روايةً أصيلةً وعتَّموا عليها، وذلك عندما تشيرُ الحقائق التاريخية إلى هذا، ولكن هذا قد يُسهمُ في فهمِ فكرة الأسطورة؛ كونها نتاجَ العقلِ البشريِّ، تُبرزُ سماتِ

(1) [ليس أوساط أهل السُّنَّة والجماعة. المترجم].

الأفكارِ المشتركةِ في كلِّ مكانٍ من العالم، فلا بدَّ من فهم نشأةِ الأسطورة على أساس دراسة المجتمع الذي نشأت فيه، ومعرفةِ مراحلِ تطوُّره التاريخي.

كتب شريكه: «تُبيِّن الرواياتُ الإثنيَّةُ المُماثلةُ أنَّ روايةَ شقِّ الصدر تنتمي إلى رواية المعراج»[1]، ثمَّ نوَّه: «لا تنفصلُ رواية شقِّ الصدر والمعراج عن تلك التي أوضحتها الدراساتُ الإثنيَّة»[2]، وأكَّد بيفان على أنَّ: «شعائر تطهير القلب تُشكِّل مُقدِّمةً طبيعية لسيرة مُحمَّد النبوية»[3]، فلا بدَّ من التأكيد، في مقابل مثل هذه الآراء، على أنَّ أوجهَ التشابه الإثنيَّة لا تُظهر شيئاً عن علاقةِ أسطورة شقِّ الصدر بأسطورةِ المعراج في الدينِ الإسلاميِّ، علاوةً على أنه لا يوجد حدث تاريخي «أوضحته الدراسات الإثنية»، كما إنَّها ليست «فطريَّةً طبيعيَّة»، فليس للإنسان فطرةٌ، بل له تاريخ.

أسبغَ تطوُّرُ الفكرِ الدينيِّ الإسلاميِّ في هذه الحالة، ومعارضتُه للأفكارِ البدائيَّة، أو الأجنبيَّةِ الأخرى، وخاصَّةً المفهومَ المُحدَّدَ لرسولِ الله ﷺ على الأسطورةِ تطوُّراً مُعقَّداً محتَّماً، حيثُ تصوَّرت العقيدةُ الأوليَّةُ البسيطة أعجوبةَ تطهيرِ القلب، في الطفولة، كما ذُكرها «أهل السُّنَّة والجماعة»، ثمَّ أعادت التأثيراتُ غيرُ الإسلاميَّة القويَّة التي عُدِّلت لتتلاءمَ مع الدينِ الإسلامي، تطهيرَ القلب إلى زمنِ البعثة تقريباً، أو قبلَ المعراج مباشرةً فيما بعد، إلا أنَّ عقيدةَ

(1) شريكه، معراج مُحمَّد في مجلة الإسلام، 6، 1915، الصفحة 6.

(2) المرجع السابق، الصفحة 26، هامش 10.

(3) بيفان، معراج مُحمَّد إلى السماء في ملحق مجلة علوم العهد القديم، العدد السابع والعشرون، الصفحة 58.

عصمة النَّبيِّ فرضَت فيما بعد، إرجاعَ أسطورة شقِّ صدره وتطهير قلبه إلى وقتٍ أقدمَ منهما، أي إلى طفولته، وهكذا يبدو أنَّ تاريخَ العلاقةِ بين روايتي الأسطورة في الدين الإسلامي مُعقَّدٌ، كما أوضحنا، وهذا لا يكونُ حجَّةً ضدَّ صحَّةِ هذا الرأي، فالتاريخُ غالباً ما يكونُ مُعقَّداً.

احتوت أسطورة شقِّ الصدر عند «أهل السُّنَّة والجماعة» في سيرة ابن هشام، رواية ابن إسحاق الثانية، على اعترافِ الطفلِ البريء، بإخراجِه من عبادةِ الأصنام، لدرجةِ أن أصبحَ جوهرُ حياته مُقدَّساً، فقد كان هدفُ الأسطورةِ الوحيد بيانَ فضيلةِ الطفلِ الإلهيَّة الذي قُدِّر له أن يُصبحَ رسولَ الله، ولزمَ العقيدةَ الإسلاميةَ السائدة فيما بعد تطهيرُ قلب مُحمَّد من شيءٍ ما، وحُدِّد هذا «الشيء» بدنسِ عبادة الأصنام في مرحلةٍ أقدمَ من حياته، هكذا فسَّره ابن إسحاق. وكان الرأيُ الدينيُّ السائد، خلالَ الفترة من أوَّلِ مائة عامٍ إلى مائتينِ بعد وفاة مُحمَّد، قد ذهبَ إلى أنَّ مُحمَّداً تحوَّلَ من الوثنية أثناء بعثته، لذا لم يُوضَعْ تطهيرَ قلبه، في طفولته، في الغالب، ثمَّ أرجعَ الرأيُ الدينيُّ السائد أسطورةَ تطهيرِ قلب مُحمَّد إلى طفولته بعدئذٍ، وهو الذي ذكَره ابنُ إسحاق (تُوفِّيَ سنة 151هـ)، وذلك كلُّه أدَّى إلى الوضع المُعقَّد في الروايات والأحاديث كما يبدو عليها حالياً؛ ذلك لأنَّ للدينِ الإسلاميِّ قدرةً رائعةً على الحفاظ على مراحلِ التفكير القديمة، فقد تمَّ التسامحُ مع الاختلافات في البداية، ثمَّ تعيَّنَ عليها أنَّ تتوافقَ مع الآراء الأخرى في نهاية المطاف، ومن هنا كشفَ الدينُ الإسلاميُّ عن سمةٍ شاملةٍ حقيقيةٍ فيه.

مصادر الكتاب

1. *Al-Andalus, 1953.*
2. *al-Baidawi, Abdallah ibn Umar al-Baidawi, The Secrets of Revelation and The Secrets of Interpretation (Asrār ut-tanzīl wa Asrār ut-ta' wīl), edited by H. O. Fleischer (2 vols., Leipzig, 1846-1848; indices ed. W. Fell, Leipzig, 1878).*
3. *al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il al-Bukhari, Al-Jami' al-Sahih, ed. Ludolf Krehl (4 vols.; Leiden, 1862-1908).*
4. *at-Tabari, Muhammad ibn Jarir at-Tabari, Ta'rikh al-Rusul wa-al-Mulik (Annales), ed. Michael Jan de Goeje (15 vols.; Lugduni Batavorum, 1879-1901).*
5. *Bevan, Anthony Ashley Bevan, Muhammed's Ascension to Heaven in Studien zur semitischen Philologie und Religionsgeschichte, Volume 27 in the series Beihefte zur Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft.*
6. *Buhl, Frants Buhl und Hans Heinrich Schaeder, Das Leben Muhammeds, Leipzig: Quelle & Meyer, 1930.*
7. *Caetani, Leon Caetani, Annali dell' Islam (10 vols.; Milan, 1905-1926).*
8. *EI, Encyclopaedia of Islam (Leiden, 1913-1938).*
9. *GAL, Carl Brocklemann, Geschichte der Arabischen Littera-*

ture. Supplement - band, 1-3, Leiden 1937-1942. GAL S, Supplement (3 vols.; Leipzig, 1937-1942). GAL 2. den Supplement bänden angepasste Aufl. (2 vols.; Leiden, 1943-1949).

10. *Goldziher, Ignaz Goldziher, Abhandlungen zur arabischen Philologie, Leiden, 1896.*
11. *Goldziher, Ignaz Goldziher, Die Richtungen der islamischen Koranauslegung, Leiden, 1920.*
12. *Goldziher, Ignaz Goldziher, Muhammedanische Studien (2 vols.; Halle a.S., 1888-1890).*
13. *Guillaume, Alfred Guillaume, Islam, Penguin, Harmondsworth, London,1954.*
14. *Guillaume, Alfred Guillaume, The Traditions of Islam: An Introduction to the Study of the Hadith Literature, Clarendon Press, 1924.*
15. *Horovitz, Josef Horovitz, Muhammeds Himmelfahrt in Der Islam 9, 1918-1919.*
16. *Horovitz, Josef Horovitz, Zur Muhammedlegende in Der Islam 5, 1914.*
17. *ibn al-Athir, laz al-Din 'Ali ibn Muhammad ibn al-Athir, Al-kamil fi al-ta'rikh (Chronicum), ed. C. J. Thornberg (14 vols.; Lugduni Batavorum, 1851-1876).*
18. *ibn Hisham, Abd al-Malik ibn Hisham, Kitab sirat rasul Allah (Das Leben Muhammed's), ed. Ferdinand. Wüstenfeld (2 vols.; Göttingen, 1858-1860). References are to Vol. I.*
19. *ibn Sa'd, Muhammad ibn Sa'd, Kitab al-tabagat al-kabir (Biographien Muhammeds), ed. Edward Sachau (9 vols.; Leiden, 1904-40).*

20. *Lanė, Edward W. Lane, An Arabic-English lexicon... Book 1 (London and Edinburgh, 1863-1893).*

21. *Nöldeke, Theodor - Friedrich Schwally (Bearb.)/G. Bergsträßer, O. Pretzl: Geschichte der Qorans (Korans), 3 Teile in einem Band: 1. Über den Ursprung des Qorans. 2. Die Sammlung des Qorans mit einem literarhistorischen Anhang über die muhammedanischen Quellen und die neuere christliche Forschung. 3. Die Geschichte des Korantexts. Published by Georg Olms Verlag, Hildesheim 1961, Fotomechanischer Nachdruck der Ausgaben Leipzig 2.A. 1909/2.A. 1919/2.A. 1938.*

22. *Schacht, Joseph Schacht, The Origins of Muhammadan Jurisprudence, Clarendon Press, Oxford 1950.*

23. *Schrieke, Bertram Schrieke, Die Himmels Reise Muhammeds in Der Islam 6, 1915.*

24. *Sprenger, Aloys Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammad, Berlin, 1869.*

25. *Tor Andrae, Die Person Muhammeds in Lehre und Glauben seiner Gemeinde, Stockholm, 1917.*

26. *Wensinck and Kramers, Arent Jan Wensinck and Johannes Hendrik Kramers, Handwörterbuch Des Islam, Published by E.J. Brill, Leiden, 1941.*

27. *Widengren, Geo Widengren, Muhammad, the apostle of God and his ascension, Lundequistska bokhandeln, Uppsala 1955.*

28.ابن الأثير، **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، خمسة أجزاء، المطبعة الوهبية، القاهرة - مصر، 1280هـ.
29.ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى 1326هـ.
30.أبو داود الطيالسي، **مُسند الطيالسي**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى 1321هـ.
31.أحمد بن مُحمَّد القسطلاني، **إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري**، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، الطبعة السابعة 1323هـ.
32.جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند الطبعة الأولى 1398هـ.
33.شمس الدين الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، أربعة أجزاء، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، 1333-1334هـ.
34.الطبري، **تفسير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن**، 30 جزءاً مع الفهرست، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، 1905-1911م.
35.مُحمَّد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني.
36.مُحمَّد بن عيسى التُرمذي، **سنن الترمذي**، 13 جزءاً، القاهرة 1350-1353هـ.
37.مُحمَّد فخر الرازي، **تفسير الفخر الرازي: التفسير الكبير أو**

مفاتيح الغيب، المطبعة العامرية الشريفة، القاهرة، الطبعة الأولى 1308هـ.
38. محمود شكري الآلوسي، **تفسير الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ثلاثون جزءاً، إدارة الطباعة المُنيرية، مصر، 1353هـ
39. مُسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مُسلم بشرح النووي**، المطبعة المصرية، القاهرة، 1347-1349هـ.
40. **مُسند الإمام أحمد بن حنبل**، ستة أجزاء، المطبعة الميمنية، القاهرة، 1313هـ/1895م.
41. نور الدين الحلبي، **السيرة الحلبية**، مصر، 1292هـ.

مصادر المترجم

1. **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، 1387هـ/1967م.
2. **تذكرة الحفاظ للذهبي**، وضع حواشيه زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.
3. **تصحيح الفصيح وشرحه لابن المرزبان**، تحقيق د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1419 هـ / 1998 م.
4. **تفسير الآلوسي، روح المعاني**، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م.
5. **تفسير البغوي**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
6. **تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق مُحمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.
7. **تفسير الفخر الرازي، مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

8. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد - الهند، 1326هـ.

9. جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير الطبري، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، 1422هـ/2001م.

10. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1271هـ/1952 م.

11. الدر المنثور في تفسير المأثور للجلال السيوطي، دار الفكر، بيروت، 1432هـ/2011م.

12. دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق الدكتور مُحمَّد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م.

13. سنن الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

14. سنن الترمذي، تحقيق أحمد مُحمَّد شاكر وآخرين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ/1975م.

15. السنن الكبرى للنسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ/2001م.

16. سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ/1985م.

17. سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري

وعبد الحفيظ الشلبي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط2، 1375هـ/1995م.

18. **السيرة الحلبية** لنور الدين الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1427هـ.

19. **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، ط5، 1414هـ/1993م.

20. **صحيح مُسلم**، تحقيق مُحمَّد فؤاد عبد الباقي، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي، بيروت)، 1374هـ/1955م.

21. **الطبقات الكبرى** لابن سعد، تحقيق مُحمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، 1410هـ/1990م.

22. **عيون الأثر** لابن سيد الناس، تعليق إبراهيم مُحمَّد رمضان، دار القلم، بيروت، 1414هـ/1993م.

23. **القاموس المحيط** للفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ/2005م.

24. **الكامل في التاريخ** لابن الأثير، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1997م.

25. **المستشرقون** لنجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1964م.

26. **مُسند أبي داود الطيالسي**، تحقيق مُحمَّد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، 1420هـ/1999م.

27. **مُسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/2001م.
28. **مُسند الدارمي** (سنن الدارمي)، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/2000م.
29. **معجم البلدان** لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
30. **المنهاج شرح صحيح مُسلم بن الحجاج** للنووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1392هـ.
31. **الموسوعة العربية الميسرة**، مجموعة من العلماء والباحثين، المكتبة العصرية، بيروت، 1431هـ/2010م.
32. **موسوعة المستشرقين**، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م.
33. **النهاية في غريب الحديث والأثر** لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود مُحمَّد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م.

الفهارس العامة

* فهرس الأعلام
* فهرس الأماكن والبلدان
* فهرس الشعوب والقبائل والجماعات

فهرس الأعلام

خ

د

ذ

ر

ز

س

غ

ف

ق

ك

ل

م

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الشعوب والقبائل والجماعات

و

ي

هذا الكتاب

أثبت البحثُ في متونِ الأحاديث، وفي إسنادِها أنّ أسطورةَ شقِّ الصدر كانتْ تُعدّ، في وقتٍ مُبكِّر نحو عام مائة للهجرة، مُمهِّدةً للبعثة عند بعضِ أوساطِ المُحدِّثين، حيثُ ظهرت مرتبطةً بالبعثة، أي مع نزولِ الوحي وبدء القرآن بآياتِ سورة العَلَق الخمسِ الأولى في غارِ حراء، عند أهل السُّنَّة والجماعة، وهي التي كانت وراء تطوُّر الأسطورة في تلك الأحاديث وقد جاءَ أحمدُ بن حنبل بما يوافق رأيَ أولئك المحدثين، حيثُ ذكَرَ أسطورةَ صدر (النبي) مُحمّد من قِبلِ طائرين، مُتأثّرةً برأي أهلِ السُّنَّة والجماعة في البعثة، وفي أحاديثِ أخرى عند أهلِ السُّنَّة والجماعة ظهرَ شكلُ الأسطورة تمهيداً للبعثة، ولكن بمُقدّمةٍ وضعت شقّ الصدر قبلَ مدّةٍ من البعثة، فلا تُحدِّد روايات الأحاديث الإسلامية كلها، أسطورةَ شقِّ صدر مُحمّد باعتبارها تمهيداً لبعثته.

يهدفُ هذا البحثُ إلى تحليلِ أصولِ رواياتِ أسطورةِ شقِّ صدر(النبي) مُحمّد المُتعدّدةِ، وتحديدِ تاريخها ما أمكنَ، وقد جاءت في كتبِ السيرةِ والحديث والتفسير، منذُ زمنِ ابن إسحاق (تُوفّيَ سنة 151 هـ/767 م) إلى يومِنا هذا، إذ أرجعَ ابنُ إسحاق تاريخَ أسطورةِ شقِّ الصدر إلى فترةِ رضاعِ مُحمّد، وقدّمَ لها روايتين، أولى الروايتين وأقدمُهما في «سيرةِ ابن هشام» وهي: «عندما كان مُحمّدٌ مع أخيه بالرضاعةِ، معَ بعضِ الغنم خلفَ خيامهم، فجاءَ أخوه أهلَه قائلاً بانفعال: إنّ رجلينِ في ثيابٍ بيض قد أخذا أخاه، ووضَعاه على جنْبِه، وشقّا بطنَه ثمّ حرّكاها. وعندما خرجَ والداه ليريا، وجَداه يقفُ بوجهٍ حائلِ اللون، وأخبرَهم أنّ رجلينِ في ثيابٍ بيضٍ وضَعاه على جنْبه، وفتحا بطنَه، وسعيا للحصولِ على شيءٍ فيه، ولم يكنْ يعرفُ ما هو».

الكتاب متوفر على شبكة أمازون العالمية . Amazon.co.uk

يمكنكم شراء نسخة إلكترونية للكتاب . E-Book



